الشيخ الدكتور محمد أحمد حجازي العاملي
أستاذ في الجامعة الإسلامية في لبنان

أَخْلاقِيّاتُ الفقه الإجْتِماعِي

نصائح وتوجيهات من واقع الحياة



دار المحجة البيضاء



أَخْلاقيَّات

الفقه الإجْتمَاعِي

نصائح وتوجيهات من واقع الحياة



الشيخ الدكتور محمد أحمد حجازي العاملي
أستاذ في الجامعة الإسلامية في لبنان

أَخْلاقيَّات الفقه الإجْتمَاعِي

نصائح وتوجيهات من واقع الحياة

دارُ المحجّة البيضَاء

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

ISBN: 978-614-426-076-0



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الأهداء

من ضياء شمس الشموس المدفون بأرض طوس....

ومن مشارقه الرّوحانية والخُلق العلويّة.....

ومن هداياه وعطاياه النديّة السخيّة.....

اقتبس مداد المودّة والولاية....

وأكتب حروف الرجاء لابن خاتم الأنبياء

الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام

عسى أن يقبل مني هذا الإهداء.

اللّهم تقبّل

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، وأكرمنا بنعمِهِ التي لا تعدّ ولا تحصى، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على النبي الصادق الأمين محمد وآله الطاهرين الذي أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. والسلام على من اتبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

أما بعد...

تزداد أهمية الأبحاث العلمية تبعاً لإتساع المساحات المعرفية المكتشفة في الحياة الإنسانية، ولا ينبغي أنْ تكون الكتابة وفقاً لاشتهاء الكاتب دون مراعاة الحاجات الواقعيّة، فقد يصادف أن يكون الموضوع مكرّراً إلى حدّ الاستيفاء التام من كافة جوانبه، مما يؤدي إلى هدر الوقت دون فائدة تذكر، ويعيق حركة الأبحاث العلميّة على مستوى تطويرها وتحقيقها.

إنما المفترض أنْ تكون الكتابة ناظرة الى المستحدثات

الواقعيّة، واستجابة للتساؤلات التي تطرأ في كل زمان ومكان، وممّا لا شكّ فيه أنّ الإضافات العلميّة الموضوعية تزيد المسائل العلميّة إنارة ووضوحاً.

ومن هنا، فإنَّ الحاجة إلى طَرقِ الأبواب الأخلاقية المرتبطة بالمتغيّرات الإجتماعية، هي محل حاجة ضرورية، وبخاصة إذا كانت مرتبطة بالمسائل الفقهية التي يبتلى بها الإنسان عادة.

لذلك، فقد حاولنا في هذا الكتاب أنْ نعالج العديد من الموضوعات الإجتماعية برؤية تجمع فيها بين الفقه الإجتماعي وبين الجوانب الأخلاقية لروح الفقه الإجتماعي الإنساني.

وفي هذا الكتاب، لم نعتمد في منهجية كتابته على ذكر المسائل الفقهيّة، والتعليق عليها بلغة تربوية وأخلاقية إنما قصدنا ذكر المسائل الفقهيّة الإجتماعية بقوالب لفظية أخلاقية، بعيدة عن التعقيد، وقريبة من كافة المستويات الثقافية. بحيث يشعر القارئ أنّه يأخذ الأمرين معاً دون تكلّف أو مشقة.

وبحسب ما نراه، فإنّه من الضروري البحث في كافة القضايا الأخلاقية المرتبطة بالعقل العملي للإنسان، والإضاءة على الكثير من الأمثلة التطبيقيّة.

وهذا ما دعونا إليه سابقاً في كتابنا «علم الأخلاق والتربية»، إلى تخصيص مباحث علم الأخلاق وفقاً لتنوّعات الحقول الإجتماعية والتخصصيّة، لأن ذلك يساعد على توجيه الخطاب

إلى كل فئة على حدَة بشكل مباشر.

وقـد قمنا بتقديـم هذه الرؤية الأخلاقيـة الإجتماعية من خلال نصائح وإرشادات عسى أن تكون قد لامست الواقع المعاش.

للّـه وحده كتبنا هـذه الكلمات دون رجاء مـدح المادحين، أو كراهة ذمّ الذامّين.

فالتقدير من ربّ العالمين يوم لا ينفع مال ولا بَنونَ إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم.

وآخر دعوانا أنْ الحمد للّه ربّ العالمين

وصلّى اللّه على النبي محمد وآله الطاهرين

عبدك المحتاج الى رحمتك

محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن عيسى بن حسين الحجازي العاملي

٢٢ / ربيع الأول / ١٤٣٣ هـ



الإندماج والعزلة



إنَّ مِنْ أهم صفات شخصيّة الإنسان المسلم تحلّيه بالخُلقياتِ الإجتماعية، بمعنى أنَّ الدين دعا إلى تقوية قواعد العلاقات الإجتماعية وترسيخِ الإنفتاح على الآخر، وإضعافِ حالات الإنعزال والرؤيةِ الإنعزالية تجاه الآخر، ومن الخطأ أَنْ نحصرَ الإنفتاحَ على الآخر بحدود التلاقي أو بتبادل البسماتِ الطيِّبة، وإنما يبدأُ الإنفتاحُ على الآخر بحسن الظنِّ بالناس، ومحبَّتِهم وتقديمِ العونِ لهم، وقضاء حوائجهم والتفكّر بهم، وهذا ما أوصى به النبي ﷺ المسلمين بقوله: «**ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته**»[1]، وبقوله ﷺ: «**مثلُ المؤمنين فيِ توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم**

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ط: دار الحديث، ٣/ ١٢١٢.

مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهر والحمى»[1].

ومن هنا يتضح لنا أنَّ العُزلةَ ليست منحصرةً بحدود الإنعزال الجسدي عن الناس، إنَّما من المفترض أَنْ ننظرَ إليها بمعناها الشامل وبمصاديقها المتعدّدة، التي يمكن أَنْ نذكر بعضاً منها على سبيل المثال، فمثلاً **سوء الظن بالآخر** يعتبر إنعزالاً وتغرّباً عنه، وقد نهى الله (عزّ وجل) عنه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ إلى آخر الآية[2]. وكذلك **التهاجر والفرقة والشقاق** بين المسلمين هو عزلةٌ وتباعدٌ، وقد نهى عنه - أيضاً - فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[3]. أو **الغيبة والبُهتان والنميمة**، فهذه من مقدّمات الإنعزال والأنانية الإجتماعية، وقد شدّد الله تعالى على إثمها وغلاظة حرمتها، فقال: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾[4]. وقال سبحانه أيضاً: **(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)**. وقال (عزّ وجل) أيضاً: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾[5]. أو حرمان الفقراء من حقوقهم فهو تقاعس عن القيام

---

(١) المصدر السابق، ٣/ ٢٨٣٧.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) القلم: ١٠ و ١١.

بالمسؤوليّةِ الملقاةِ على عاتقِ كل فرد من أفرادِ المجتمع، وقد قال تعالى في البخل وعدم الإنفاق: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1]. وعدم التفقُّه بالدين وترك تعلّم الحلال والحرام هو أيضاً ببعده الثقافي والفكري إنعزال ثقافي عن الناس لأنّه يمثّل هروباً من معرفةِ الواقع، فعن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عليكم بالتفقّه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقّه في دينِ الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً**»[2].

هذه الأمثلة، وغيرها، تلامس معنى **العزلة المرَضِي** الذي يسبّب إبتعاد الناس عن بعضهم البعض، ويشغلهم عن ساحة جهادهم الأساسية، ومن الملاحظ أنَّ المشرِّعَ الإسلاميّ -وعلى سبيل المثال- وسّع في أماكن العبادة ولم يحصرها في مكان واحد كالمسجد، وإن كان ارتيادُهُ أمراً مستحبّاً وعظيماً، إلا أنّه يريد أنْ يجعلَ من العبادة بمعناها الشامل صورةً مألوفةً في مختلف بقاع الأرض، في البيوت، وفي أماكن العمل، وفي المعاهد العلميّة وغير ذلك من الأماكن التي تمكّن الإنسان من تأديةِ الصلاة فيها ليدلّل بذلك على أنّ الأعمالَ العباديةَ تبرزها مظاهرُ المشاركةِ، والصور الإجتماعية.

---

(١) محمد: ٣٨.

(٢) الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١/ ٣١.

وإذا ذهبنا إلى نظرية القرآن الكريم لنراها بمنظار واقعي فنجد أنَّ الله سبحانه حينما أمرنا بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾[1]، فهو يحثّنا على تبادلِ التوصيةِ بالحقِ والترغيب به، لأنّه لا يكفي أَنْ نقومَ بالعملِ الصالح، بل يحتاج دائماً إلى إيجادِ نظام ترغيبي وتوصيةٍ إجتماعيةٍ بالأعمال الصالحة لأجل إستمرارها وديمومتها، وكل ذلك عن طريق الإحتكاك والإندماج الإجتماعي المصون بالخلقيّات الإجتماعيّة.

ومن هنا، نلاحظ أنّه في بعض مباني الإمام الصادق عليه السلام التربوية كيف ربط -في حديثه عن العلاقات الإجتماعيَّة- بين هذه العلاقات وبين تفعيل القيم الأخلاقيّة، وذلك بقوله عليه السلام: **«تزاوَرُوا فإنَّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثُنا تعطف بعضَكم على بعض، فإنْ أخذْتُم بها رشدّتُم ونجوْتُم، وإنْ تركتموها ضللتُم وهلكتُم، فخُذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»**[2]. وانطلاقاً من هذه الرؤيةِ الأخلاقيةِ الساميةِ التي لا تَفْصِل بين المبدأ الخلقي وبين المبدأ الديني يمكننا أَنْ نضعَ مكارمَ الأخلاقِ التي حدثنا عنها النبي صلى الله عليه وآله في سياق الإنصهار الإجتماعي، فعن علي عليه السلام قال: **«قال لي النبي صلى الله عليه وآله: ألا أدلُّك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة، أنْ تصلَ من قطعَك، وتعطيَ من حرمَك، وأنْ تعفوَ عمّن ظلمَك»**[3]، ولم يَرِد

---

(١) العصر: ٣.

(٢) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت ٢ / ١٨٦ / ٢.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ط: الكتب العلمية، بيروت، ٨/ ١٨٨.

هـذا التعظيم كلُّه للتواصلِ الإجتماعي إلا للتأكيد على التراحم وعـدم التغـرّب عن الناس، ولأجل عدم فصـل الدين عن عالـم الحيـاة الإجتماعيـة، وأنَّ الإنسـانَ إجتماعـيٌّ ومدنـيٌّ بالطبـعِ والتطبُّع.

ومـن أجمــل الأفعــال الـدالّـة علــى ضـرورة الإندماج، ومشـاركة النـاس فـي حياتِهم مـا روي عن «أبان بـن تغلب» عن الإمـام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام فعرَضَ لي رجلٌ من أصحابنا كان سـألَني الذهابَ معه في حاجةٍ، فأشار إليَّ فكرهتُ أنْ أدعَ أبا عبد الله عليه السلام وأَذهَبَ إليه، فبينما أنا أطوفُ إذ أشارَ إليَّ أيضاً فرآه أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا أبان إياك يريـد هذا؟، قلت: نعم، قـال: فمن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا، قال: هو على مثل ما أنت عليه، قلت: نعم، قال: فاذهب إليه، قلت: فأقطـع الطواف؟ قال: نعم، قلت: وإن كان طواف الفريضة؟ قال: نعـم، قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه فسـألته: أخبرني عن حقِّ المؤمـن على المؤمن فقال: يا أبان دعْه لا تَرِده، قلت: بلى جعلت فداك فلم أزل أردد عليه، فقال: يا أبان تقاسمه شطرَ مالِك، ثمّ نظَرَ إلـيَّ فرأى ما دخلني، فقال: يا أبان، أما تعلم أنّ الله (عزَّ وجل) قد ذكر المؤثرين على أنفسـهم؟، قلت: بلى جعلت فداك، فقال: أمَّا إذا أنت قاسـمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سـواء إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر**»[1].

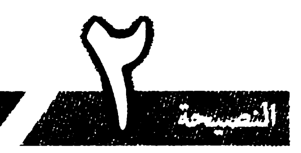
---

(١) الكافي، الكليني، ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ١٧١/ ٨.

فلْننظر إلى هذه الروعة من روائع الخلقيات الإسـلامية التي لا تفصلُ بينَ حكم شـرعي وبين مبدأ أخلاقي، بل هما يتكاملان مع بعضهما البعض.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

تزاوروا فإنَّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم



حقوق الجيران



إنَّ من أكثر المواضع التي نحتاج فيها إلى تعلّم أصول العلاقات الإجتماعية وآداب العِشرة الصالحة هي في المجاورة السكنية وعلاقات الجيران مع بعضهم البعض، لاجتماع طبائع مختلفة، ومشارب ثقافية متنوعة في مكان واحد.

من هنا، فإنّ موضوعَ الجِيرة من أكثر الموضوعات التي تُختبر فيها خلُقيات الإنسان الإجتماعية وقدرته على التكيّف مع أمزجة متعددة، غير متوافقة في الدين والثقافة. ومن المعلوم أنَّ الجيرة أقربُ شيءٍ للإنسان، وقد تكون أحياناً أقربَ من قرابة القريب، وصداقة الصديق، بل وقد تكون أحيانا أقرب من أيّ علاقة إنسانية يعرفها الإنسان في

حياته. وهنا قد يطرح أحدنا سؤالاً، طالما أنّه لا توجد قرابة رحميّة بين الجـار وجاره، ولا أية مصلحة من المصالح، فلماذا نضيع أوقاتنا على معرفة حقّ الجار، أو على تبادل الزيارات الإجتماعية بين الجار وجاره، وخصوصـاً أنَّنا أصبحنا نعيش في زمن تحوّلَ فيه العالـم إلى قريةٍ كونيةٍ واحـدةٍ، حيث كثرت فيه وسـائل الإتصال بالآخريـن، وأصبحت إلى حـدٍّ كبير عند الكثير من الناس بديلاً عن واجباتِ ولياقاتِ المعاشـرةِ، وبديـلاً عن آدابِ المزاورةِ والتواصل المباشـر بيـن الناس، أو قد نجدُ بعضَ الناس يرغب بالبعد عن الجيران والتجافي عنهم، إعتقاداً منه أن يجنِّب نفسه المشاكل وحصاد الألسن من القال والقيل؟.

هذه الأسئلة وغيرها حقٌّ مشروعٌ لكلِّ إنسانٍ، ولكن في الوقت نفسـه، عليه أَنْ يلتفتَ إلى حقائق لا يمكن غضُّ النظرِ عنها، وهي أنّ المدنيةَ والحضارةَ المعاصرةَ مهما تقدّمت وتطورت لا يمكنها أَنْ تلغيَ القرابةَ الإنسانية بأبعادها الإجتماعيةِ كلّها، وبشكل خاص قرابة المجاورة، وذلك أن الميلَ الفطري عند الإنسـان، والثوابتَ الدينيّـة تحثّه على الإندماج مـع الناس، وتـركِ التفكير بالإنغلاق والانعـزال - كما مر سـابقا -، وقد سـاهم الدين فـي تعزيز ثقافة الجـار الصالح بجعل حقوق كثيرة بين الجيران، تماماً مثلما جعل الديـنُ حقّاً للزوجِ على زوجتِـهِ أو العكس، نظير قولهﷺ في حقِّ الزوجـةِ علـى زوجِهـا: «**أَنْ لا يضـربَ وجهَهَـا، ولا يقبحها، وأَنْ يطعمها مما يأكل، ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها**»[1].

---

(١) عوالي اللئالي، ط: سيد الشهداء، قم، ٢/ ١٤٢.

وفي حق الزوج على زوجته أن: « **تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها، - إلى آخر الحديث -**»[1].أو كما جعل حقّاً للوالدِ على ولدِهِ، كقولهﷺ: «**أَنْ لا يسمّيه باسمِهِ، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس أمامه، ولا يدخل معه الحمام- أماكن التنظيف والإستحمام العامة -**»[2]. أو حق الوالدة على ولدها، كقول الرضا عليه السلام: «**إنَّ حقّ الأم ألزم الحقوق وأوجبها**»[3]. وكذلك هنا فإنّ من أبسط تلك الحقوق بين الجيران أَنْ يقدّرَ الجارُ قيمةَ جارهِ الإنسانيةِ، ولا يتعدّى على شيء من حرماتهِ وممتلكاتِهِ. ولهذا ورد التأكيدَ على لسان النبيﷺ بحقّ الجار، وشدة الإهتمام به، بقولهﷺ: «**لا زال جبرائيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه**»[4].

وفي هذا الصددِ يذكر أحدُ العلماءِ **أنَّ مسلماً كان يعيش في دولةٍ أجنبيةٍ وقد مرَّت عليه سنوات طويلة وهو لا يعرف أحداً من جيرانه ومن يسكن بجواره، وذات يوم طُرِقَ بابُه، فلمّا فتحَ البابَ رأى شخصاً واقفاً على بابه يحمل بيده شيئاً، فاعتقد أنّه من المتسوّلينَ فعامله بطَريقة غير مهذبة، إلا أنَّ هذا الشخصَ عاجلَهُ**

(١) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(٢) وسائل الشيعة، ط: آل البيت عليهم السلام، ٢/ ٥٧.
(٣) فقه الرضا عليه السلام، ط: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام مشهد، ص ٣٣٤.
(٤) الأمالي، الطوسي: ط: دار الثقافة، قم، ٥٢٠ / ١١٤٥.

بالـكلام قائـلاً له: مهلاً يـا أخي، وقبـلَ أَنْ تُغلقَ البـابَ، أنا جارُك المقابـل لك، وأحمل لـك هديةً لأنني في الحقيقـة كنتُ أقرأ عن دينكم - الإسـلام - فتعجّبتُ مـن أخلاق نبيِّكم مع جاره اليهودي الذي كان يرمي الأوسـاخ على باب دار نبيِّكم، والمُلفِت بالنسـبةِ لـي أنَّ نبيَّكـم لم يقابل جـارَه بالمثل، بل فعل عكـس ذلك تماماً، فحينمـا مرض جـاره اليهودي بـادره بالزيارة والتفقـد، وأنا لأجل ذلك أُشـهِر إسـلامي، وأتشـرّف بأَنْ أكونَ تابعاً لمثـل هذا الدين، وعند ذلك التفتَ المسـلِمُ إليـه واعتذرَ منه، وشـكرَهُ على تذكيرِهِ بأخلاقياتِ دينهِ الإسلامي.

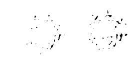
ولهذا مهما شرّقنا أو غرّبنا فإننا لن نجد مِثلَ الأخلاق الإسلامية التـي عبّـر عنها النبـيﷺ خير تعبير حينما قسّـم الجـارَ إلى ثلاثة أقسـام، حيـث قال: «**الجيـران ثلاثة: جارٌ له حـق واحد وهو أدنى الجيـران، وجَارٌ له حقّان، وجَـارٌ له ثلاثة حقوق، فأما الذي له حق واحد فجَارٌ مشركٌ لا رحم له، له حقُّ الجوار، واما الذي له الحقّان فجَـارٌ مسـلمٌ له حقُّ الإسـلام وحـقُّ الجـوارِ، وأما الـذي له ثلاثة حقوق فجَارٌ مسـلمٌ ذو رحم، له حقُّ الإسلام وحقُّ الجوارِ، وحقُّ الرحَـم**»[1]. إنَّ هـذا المنطقَ يمثّل الخُلُقَ الرفيـعَ في كيفيّةِ التعامل مع الجيران، فحتّى لو لـم يتفق الإنسـان مع جاره في دينه فإنَّ هذا لا يمنع أبداً من حُسنِ المجاورة، بل الإختلاف في الدين لا يلغي حقَّ العلاقات الإنسانية بين الناس، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ٨/ ١٦٤.

«فإنَّهم - أي الناس - صنفان: إمَّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق»[1].

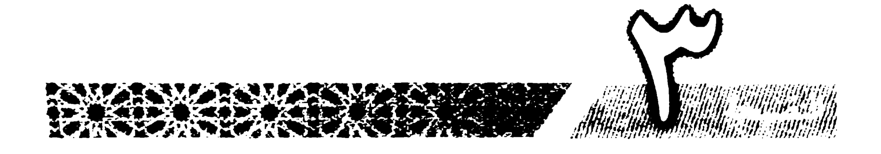
وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].



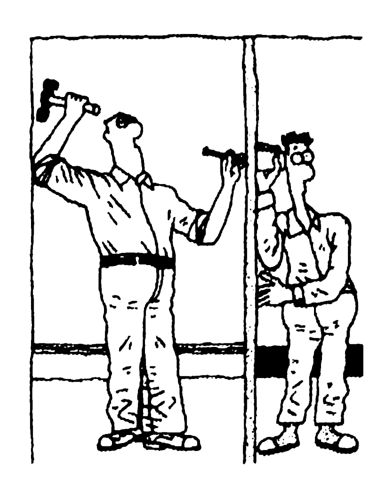
أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

الجار ثم الدار

(١) نهج البلاغة: مصدر سابق.
(٢) الممتحنة: ٨



من هو الجار؟



كنا قد تحدّثنا في النصيحة الثانية عن أهمية تعلم آداب العلاقات الإجتماعية، وبشكل خاص عن العلاقة الإنسانية الحسنة مع الجيران، وتفعيلاً لهذا الموضوع على نحو أوضح، نقول: إنَّ الجيرةَ والمجاورةَ هي بيئةٌ من البيئاتِ الإنسانيةِ التي تلعبُ دوراً هامّاً وكبيراً في تربيةِ الإنسان، ولذا على الإنسان أَنْ يختارَ الجارَ الصالح لما له من تأثير إيجابي أو سلبي على نفسه وفكره. وبكل بساطة يمكننا ملاحظة الكثير من الناسِ الذين كانوا في حالةٍ من الإستقامةِ إلى حين مجاورتهم لأناس منحرفين، فنرى كيف أنّ تصرّفاتِهم وأقوالَهم تغيَّرت تغيّراً ملحوظاً بسببِ الجارِ السيء والجيرةِ المفسدةِ، أو العكس هو الصحيح، فإنَّ الإنسانَ قد يكون أحياناً غيرَ مستقيم،

ولكنه بسبب مجاورته لجيرةٍ صالحةٍ يتحّول شيئاً فشيئاً إلى إنسانٍ صالح، وهذا أمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى برهنةٍ واستدلالٍ، كما جاء في الحديث: «**قلْ لي مَنْ تُعاشِرَ أَقُلْ لكَ مَنْ أنت**»[1].

ومـن هنـا، فإنَّ مِـنْ أكثر الأمور التـي تختبر فيهـا رجاحةُ عقل الإنسان هي ثلاثة:

١- عند اختيار الزوجة الصالحة.

٢- عند اختيار الصديق الصالح.

٣- عند اختيار الجار الصالح.

فإنْ اسـتطاع الإنسـانُ أَنْ يختار هذه الثلاثةَ اختياراً سـليماً فهو مـن السـعداءِ ويكون في عيشـةٍ راضيـةٍ، وما يهمّنا هنا هو القسـم الأخير الذي هو محور كلامنا، فمن الضروري جدّاً الإلتفات إلى أنَّ تحديدَ الجارِ وتوصيفه، وبحسـب رؤية الدين الإسـلامي فإنَّه يأخذ توصيفات ثلاث:

١- تحديد الجار من الناحية الإنسـانية، فقد ورد كما مرَّ سـابقاً عن النبيﷺ «**أنَّ الجارَ المُشركَ له حقُّ الجوارِ**» فإنَّ ذلك يعني أَنَّ الإنسـانَ مهما اختلف مع جارهِ في الفكرِ والحياةِ، فلا يحق له أَنْ يعاديَهُ ويجعلَهُ خصماً له، وعلى الأقل أَنْ يكونَ معتدلاً في تعاملِهِ مَعَ جميع جيرانِه.

٢- تحديـد الجار من الناحيـة الإيمانية، وهذا في غاية الأهمية

---

(١) نهج البلاغة، ط: دار الذخائر، قم، ٣/ ٨٤.

أيضاً، حيث نلاحظ في تعاليم ديننا أنَّ الأخلاقَ الإسلامية ربطَتْ بيـن إيمان الإنسـان وبين حسـن مجاورته للجيـران، لأنَّ الإيمانَ له أثرٌ في تحسـين خلقيات الإنسـان المسـلم، حيث قـال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1]. وكذلـك صرحـت الروايات بأنـه: «**لا إيمـان لمن لم يأمن جـارُه بوائقَهُ - ظلمـه -**»[2]. ومعنى ذلـك أنَّ الإنسـانَ لا يكـون إيمانَـهُ كاملاً إذا لـم يحسـن معاشـرة الجيـران. وتُعـرَف المجاورةُ الحسـنة للجيران من خـلال تطبيق إيمانـه فـي كل موضع من مواضع العلاقات الإجتماعية وبشـكل خاص مع الجيران غير المسلمين.

٣- تحديـد الجـار مـن الناحيـة المكانيـة والجغرافيـة، إذْ مـن المتعـارف عليه بيـن الناس أنَّ الجارَ هو الـذي يجاورُه في عمارة واحـدة، وقد يكـون الجارُ عند بعـض الناس هو فقط مَنْ يَسـكُن فـي مقابل دارِه، وبابـه مقابل بابه، ولكنَّ الجارَ بحسـب الأخلاق الإسلامية حدُّه أربعون داراً من الجهات الأربع، كما جاء عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حيث قال: «**حدّ الجوار أربعون داراً من كل جانب: من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله**»[3]. وبما أنَّ هذه

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ٦٦٦.

(٣) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٢/ ١٣٢.

التوسعةَ في حدودِ الجيرةِ ليست أمراً مألوفاً عند الناس فقد يسألُ أحدُهُم سؤالاً: لماذا وسَّعَ الدينُ الإسلامي حدودَ المجاورة إلى الأربعينَ داراً؟.

في الواقع لم يهدف دينُنا الإسلامي الحنيف إلى عملية تكثير الجيران بالأعداد، وذلك من قبيل التوزيع السكاني وفق مساحات جغرافية محدَّدة، وإنَّما كان الهدفُ منها إشاعةَ الخلقياتِ الإجتماعيّة على نطاق واسع، بحيث يؤمّن هذا الإطارُ الإجتماعي تبادلَ الخصال الجميلة بين الناس، ويُعدُّ نظاماً إجتماعياً فريداً لتحقيقِ التكافل الإجتماعي، وذلك على القاعدةِ التي سنّها الرسول ﷺ بقوله: «**ما آمن بالله واليوم الآخر مَنْ باتَ شبعاناً وجارُهُ جائعٌ**»[1]. مضافاً إلى هذا النمطِ من التعايشِ الفريدِ بحسب رؤيةِ الدين، فإنَّ هذه التوسعةَ في عددِ الجيرانِ يساهم في تعميم ثقافة الإلفة والمحبة بين الناس، وكم يحتاج مجتمعُنَا الإنساني في عصرنا الراهن إلى مثل هذه البيئة الخاليةِ من الأحقادِ؟! وعليه لمَّا كانت هذه المسألةُ بالذاتِ تحتاج إلى تربيةٍ منظّمةٍ وموجّهةٍ إلى كافةِ الناس، وتدريب دائم على تعميم مثل هذه الثقافةِ، فإننا نلاحظ أنَّ الدّينَ رغّبَنَا فيها ترغيباً عظيماً حينما جعل لحُسنِ الجوارِ ثواباً في الدنيا قبل الآخرة، ويكفينا ما ورد عن الصادق عليه السلام: «**حُسنُ الجوارِ يزيدُ في الرِّزقِ**»[2].

---

(1) المصدر السابق: ١٧/ ٢٠٩.

(2) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ٦٦٦.

وفـي رواية أخرى قال عليه السلام: «**حُسـن الجـوار يعمِّر الديار ويزيد في الأعمار**»[1].

لـذا، فإنّ أهمَّ نصيحة نقدمها لبعضنا فـي هذا المجال أنْ نتّخذَ من الجيـرانِ أحبَّةً وأصدقاءَ، لا أَنْ تكـونَ المجاورةُ جبهاتِ قتالٍ ومنابذةً تشيعُ حالةً من الشؤمِ، واليأسِ بين الناس.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

حُسْنُ الجوارِ
يُـزيـدُ فـي الــرزقِ

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٦٦٧.



الجار الصالح وسعادة المرء



إستكمالاً لِمَا سبقَ، ولأهميةِ الجارِ والجيرانِ نقف عند جهة أخرى من هذا الموضوعِ، وهو أنَّ تلك الأهميةَ تظهر معالمُها الحسنة في المحيط الإجتماعي الذي ينشأ فيه الإنسان، حيثُ تجعل له حالةً من الطمأنينةِ والسكينةِ في أفكارِه وسلوكياتِهِ. ولهذا نؤكّد - وكما أكدّنا سابقاً - على أهميّةِ اختيار الجار الصالح لانعكاس ذلك على راحة النفس، وفي كونه أحد الأسباب التي تساهم في تحقيق السعادة الدنيوية.

ففي الأدبياتِ الدينيةِ نلاحظ كثرةَ استعمالِ كلمة «سعادة المرء»، وذلك في موضوعات مختلفة، إحداها في اكتساب الجار الصالح، فمن جملة ما ورد عن النبي ﷺ أنَّه قال: «أربع

من السـعادة وأربع من الشـقاوة، فالأربع التي من السعادة: المرأة الصالحة، والمسـكن الواسـع، والجار الصالح، والمركب البهي (أو الهَنـيّ). والأربـع التي مـن الشـقاوة: الجار السـوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء»[1].

هـذا الشـاهد مـن الرواية يشـير إلـى أهميـةِ الجـار ودورِهِ في مؤانسـةِ الإنسـانِ ودفعِ الوحشـةِ عنه، والاسـتعانَةِ به في الشدائدِ قبل سـائر الناس. ولكن ما يجب أَنْ نلتفِتَ إليه أَنَّ تحصيلَ الجار الصالـح لا يتوقف علـى طرف واحد دون الآخـر، فالصحيح أَنْ نبحث عنه في نفوسنا قبل البحث عنه في البيوت المقابلة لنا، لأنَّ توصيفَ الجار بالصلاح لا يتوقّف على كونه من أهل الإسـتقامة والخيـر فحسـب، وإنما له علاقة بنوايانا الحسـنة التـي نقابل بها جارنا الصالح، فعلى سبيل المثال، إذا صادفت شخصاً وتريد أن تسـأله عن أخـلاق جيرانه، فلابد أن تبدأ بـه أولاً قبل غيره، وهل قـدّم هذا الشـخصُ ما عليه من اللياقـات والواجبات الإجتماعية تجاه جيرانه أم لا؟، ولو سـألنا أنفسنا ما هي أهم مقوّمات الجيرة الصالحـة؟، لكان الجواب هو أن يسـترَ الجيـرانُ عيوبَ بعضهم البعـض، ولا يتتبّعـوا عثراتهـم، إذ لا يجوز أَنْ تتحـوّل المجاورةُ إلـى مراكز تجسّـس بين الناس، حيـث يقومـون بمراقبة بعضهم البعض، بل عليهم أن ينشـروا الأشـياءَ الجميلـة بينهم، وبخاصة

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي: ط: منشورات الشريف الرضي، قم، ص ١٢٦.

حينما يجلسـون في مجالس القهـوةِ والتبصيرِ ونقلِ القالِ والقيل - عافانـا اللـه من تلـك المهالـك - واللـه أعلم بمـاذا يتحدّثون وعلـى مـن يتكلمـون. ومـن أكثر الأشـياء صعوبـة فـي أيامنا أنَّ الجيـرةَ أصبحت أكثر تلاصقاً من الأيام الماضية، حيث نراها في بناءٍ واحد، وليس في بيوت وبناءات مستقلّةٍ كما كان عليه الحال فـي السـابق، وهذا قد يسـاعد أحيانا علـى الإكثار من المشـاكل بيـن الجيران في حال لم يكن عند سـكان البناية الواحدة ضوابط تمنعهم من إيذاء بعضهم البعض، ولذا ورد في الأخبار أنّ «**أربعة مـن قواصم الظهر: إمام يعصـي الله ويطاع أمره، وزوجة يحفظها زوجهـا وهي تخونه، وفقر لا يجد صاحبه له مداوياً، وجار سـوء في دار مقام - أي في الوطن -**»[1].

وفي رواية أخرى «**أربعة من قواصم الظهر: أخٌ تصلُه ويقطعُك، وزوجةٌ تأمنُها وتخونُك، وجارٌ إنْ عَلِمَ خيراً سـتَرَه، وإن عَلِمَ شراً أذاعَه، وفقرٌ داخلٌ لا يجدُ صاحبُه منه مداوياً**»[2].

لـذا إذا ابتُلـيَ أحدُنا بجار سـوء فمـن الخطـأ أنْ يعامل جارَه الطالح بالمثل، بل عليه أن يصبر على أذاه، ولا يستجيب لتصرّفاتِه السيّئةِ، لأنّ ما ورد عندنا في أخلاقيات أهل البيت عليهم السلام هو الصبر على أذى الجار، كما جاء عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس حُسـنُ**

---

(١) الخصال، الصدوق: ط: جماعة المدرسين قم،ص ٢٠٦.

(٢) معدن الجواهر الكراجكي: الطبعة الثانية: مهر استوار قم،ص ٤٠.

الجـوارِ كفّ الأذى ولكن حُسـن الجوار صبـرك على الأذى»[1].

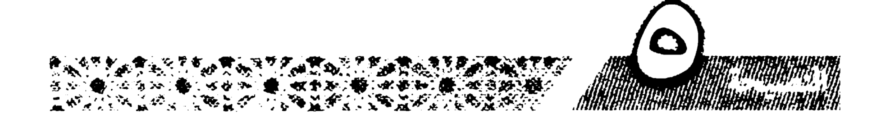
ولا يغيب عن بالنا أنَّه مَنْ أحسـَن مجاورة الناس في الدنيا أحسَنَ الله جواره في القبر وعالـم الآخرة، وكذلك لا ينبغي أن نغفل عن أنَّ الإنسانَ المؤمنَ معرّضٌ للأذيةِ في هذه الحياة الدنيا، وليس له بالمقابل إلّا الصبّرَ على الأذى ودفعِ الشرِّ بالمحبّةِ.

ولذا على كل أهل عمارة من العمارات أَنْ يعيشـوا مع بعضهم البعـض كعائلـة واحـدة، يتفقّـدون بعضهـم البعـض في السـرّاءِ والضـرّاءِ، ولا يلتفتـون إلى عيوبهم ونقـل عثراتهم، لأنَّ ذلك من شأنه أَنْ يحوّل الحياةَ إلى جحيمٍ والجيرة إلى فتنةٍ عظيمةٍ.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

ليس حُسْنُ الجوارِ كفّ الأذى ولكن حُسْن الجوارِ صبرك على الأذى

(١) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ٦٦٧.



الزيارات الإجتماعية



من إحدى تعابير المحبّة تجاه الأقارب والأصدقاء الزيارةُ الإجتماعية التي تهدف إلى التفقّدِ وزيادةِ الإلفة بين الناس، بل إلى دفعِ الوحشة عن الشخص المزار، وخصوصاً إذا كان المزارُ مريضاً، ففي نظر العرف تعتبر الزيارةُ واجبةً لشدّةِ استئناسِ الناس بالزياراتِ. وعليه لا ينبغي للإنسان أَنْ يستخفَّ بهذا الواجبِ العرفي أو المستحبِ الشرعي، لما في ذلك من الأثرِ الكبيرِ على ديمومةِ العلاقاتِ الودّيةِ والإجتماعية بين الناس، لأَنَّ المحبّةَ لا يكفي التعبير عنها باللسان، بل لا بد من تصديقها بأركانِ البدنِ، أي بالتطبيق العملي الذي نترجمه بالزيارة وتفقُّد الآخرين. فقد ورد في الحديث عن أبي شبل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما أرى شيئاً يعدل زيارة المؤمن إلّا إطعامه، وحقٌّ على الله أنْ يطعمَ**

من أطعَم مؤمناً مِن طعامِ الجنة»[1].

بـل إنّ للزائـر فضـلاً علـى المؤمن المسـتضيف لـه، فقد ورد في الحديث الشـريف عن حسـين بـن نعيم الصحّـاف «**قال: قال أبـو عبد اللـه عليه السلام: أتحبّ إخوانك يا حسـين؟، قلت: نعم، قال: وتنفع فقراءهم؟، قلت: نعم، قال: أمَا أنّه يحقُّ عليك أن تحبَّ من يحـبُ الله، أمـا أنك لا تنفع منهم أحداً حتّـى تحبَّه، أتدعوهم إلى منزلك؟، قلت: ما آكل الا ومعي منهم الرجلان، والثلاثة، والأقل، والأكثـر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أمَـا أنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم، فقلت: جعلـت فداك، أُطعمُهم طعامي، وأوطئُهم رَحلِـي، ويكون فضلُهم عليَّ أعظم؟!، قـال: نعم، إنهم إذا دخلوا منزلَـك دخلُوا بمغفرتك، ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك،وذنوب عيالك»**[2].

وهنـا، نلفـت الإنتبـاه إلى قاعـدة عامـة يمكننا اسـتعمالها في حـالات مختلفة، كالحالات الدينية، والإجتماعية والفكرية وغير ذلك، وهذه القاعدة استخلصناها من حديث الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام «**الايمانُ تصديقٌ بالجَنانِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ»**[3]، فكما أنَّ التعبيرَ عن الإيمانِ الحقيقي لا يتوقّف عند القول اللساني، ولابُدّ من قرنه بالعمل، كذلك الأمر في العلاقات

---

(١) الوسائل، مصدر سابق، ٢٤/ ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٤/ ٢٠٥.

(٣) المستدرك، النوري: ط: آل البيت عليهم السلام، ١١/ ١٤٤.

الإجتماعيـة، فـإنَّ التعبيرَ عن المودةِ لا يكفـي بالكلام، ولابُدَّ من التعبيرِ عنه بالفعلِ، وهو القيام بالزيارات الإجتماعية.

ولو جئنا إلى تطبيق هذه القاعدة وفقاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام الإجتماعية، فتكون على النحو التالي:

- **الخطوة الأولى**: فيما يتعلق **بعمل القلب**، وهو حالة الشـوق والمحبة تجاه الآخر، فمن المعروف في أدبياتنا الدينية والأخلاقية أن نضمرَ النوايا الحسنة تجاه الآخرين، إذ على الإنسان أَنْ يُحسِنَ الظـنَّ بالآخرين، وكما ورد عن الإمام علي عليه السلام «**لا تظنَّن بكلمةٍ خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً**»[1].

- **الخطـوة الثانية**: أن تعبِّر عن هذه المحبةِ القلبيةِ **باللسـان** بأَنْ تقـول لأخيك: إنِّي أحبّك، وقـد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا أحبَبَت رجلاً فأخبره بذلك فإنّه أثبتُ للمودة بينكما**»[2]. فنلاحظ هنا، أنَّ الدينَ لم يكتفِ بالتعبير القلبي تجاه الآخرين، بل أكّد ذلك بالتعبير اللساني، أي مضافاً إلى ما يضمره الإنسان بقلبه، فإنّه لا بُدَّ من التصريحِ عن ذلك بلسانه وكلماته الصادقة، لِمَا في ذلك من تقويةٍ لحبل المودّةِ والإلفة بين الناس.

- **الخطوة الثالثة**: استناداً إلى قاعدة الإيمان باللهِ الفعلية يمكن أن نقـوم بتطبيق ما يشـابهها هنا في مورد الإيمان بالآخر وحسـن الظن بـه، **وهي خطوة تبادل الزيارات**، وهي أكمل تعبير عن محبة

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ٢/ ١٧٨٤.

(٢) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ٦٤٤.

الإنسـان للآخر والإخلاص له. علـى ضوء هذه القاعدة نعود إلى مدرسـة أهل البيت عليهم السلام حينمـا كان الإمام الصادق عليه السلام يسـأل فُضيل بن يسار: «**أتجلسون وتتحدّثون؟ فقال: نعم، فقال: إنّ تلك المجالسَ أُحبُّها، فأحيوا أمرَنا، فرحمَ الله من أحيا أمرَنا**»[1].

وفـي الحديـث «**تـزاوَرُا تحابُّـوا**»[2]، وقـال الصـادق عليه السلام: «**تـزاوَرُوا فإنّ فـي زيارتكم إحيـاءً لقلوبكم وذكـراً لأحاديثنا**»[3]. إذا نظرنـا إلى هذه الخطـواتِ والأصولِ الثلاثة فـي التواصل بين الأحبـاء والأقـارب والأصدقاء يظهـر جليّاً كم نحـن بحاجة إلى الإلتفـات إلى مثل هـذه القواعد الإجتماعيـة، إذ لا يكفي أَنْ تعبّرَ لأخيك عن محبتك له باللسان، وتمتنع عن زيارته، لأنَّك إذا قلتَ لصديقك: إني أُحبّك، ولا تقوم بالتواصل معه، فسـيعتبرك كاذباً، وفـي الأحـكام العرفيّةِ لا يقبـل الناسُ بمثل هـذه العلاقة الناقصة المعبّر عنها باللسان دون الدور العملي، إلّا إذا كان الآخرُ معذوراً وغير قادر على التواصل مع الآخرين، كبعد المسافة، أو المرض، أو الشغل الدائم.

ولذلـك مـن الخطأ الفـادح أَنْ يكتفـي الإنسـانُ بالتواصل مع الناس عبر الهاتف، أو إرسـال رسـالة، أو غير ذلـك إذا كان قادراً على التواصل الجسدي المباشر لما في ذلك من فوائد جمّة.

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٤/ ٥٠١.
(٢) البحار، المجلسي: ط: الوفاء، بيروت، ٧٥/ ٣٤٧.
(٣) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ١٨٦.

وأهمّ تلك الفوائد:

تناقل الثقافة العامة.

والتشجيع على الإندماج بين الناس.

والتعرّف على مشاكل الآخرين.

وأخذ العِبَر من ذلك.

وتقديم العون والمساعدة للمحتاجين.

مما يعزّز أواصرَ المحبة ويطردُ الحقدَ والضغينةَ من القلوب.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إذا أحببتَ رجلاً

فأخبره بذلك

فإنه أثبت للمودة بينكما



٦

التواصل الإجتماعي علاج للنفس



عرفنا مما سبق أنّ الزيارات الإجتماعية تلعب دوراً هاماً في توطيد المحبّة والإلفة بين الناس، وقد ذكرنا بعض الفوائد الإجتماعية والنفسيّة لتبادل الزيارات، وفي الحقيقة تعتبر الزيارات الإجتماعية منتزهاً من منتزهات الحياة الإنسانية، وطريقةً من طرق المعالجات النفسية، حيث تبعث في روح الزائر النشاط وتساعده على تأدية الأعمال اليومية، وخروج العادات المملّة التي تسبب أحياناً حالةً من الإكتئاب النفسي والكراهة لبعض وجوه الحياة. ولهذا ينصح الأطباءُ النفسيون المصابين بعوارض نفسية بضرورة الخروج من عزلتهم، والأماكن المغلَقة، والإختلاط بالناس وعدم الإنكفاء على الذات لما في ذلك من مضار كثيرة.

ولو أخذنا على سبيل المثال المجتمع اللبناني، فقد ذكرت بعض الدراسات الطبية أنَّ أكثرَ من ثمانين بالمئة من الناس يتعاطى مهدّئات الأعصاب، بل ذهب بعضهم إلى القول: إنَّ لبنان يُعتبر في مقدمة دول العالم التي تستهلك أدويةَ الأعصاب، ولا شك أنَّ أسباباً كثيرةً تدعو الناس إلى اعتماد هذه الطريقة للعلاج، ولكن لو حاولنا أَنْ نقيّمها من ناحية العلم الإجتماعي، فماذا نلاحظ؟ نلاحظ أنَّ المجتمَع لم يبلغ مرحلةَ الوعي والنضوج الجماعي الذي يحمي الصحةَ النفسية عند الناس، بمعنى أنَّه لو كان الناسُ يعيشون همومَ بعضهم، ويعتنون ببعضهم لَساهَم ذلك في التقليلِ من تلك المشاكلِ النفسيّةِ والإجتماعيّةِ.

وعلى أيِّ حالٍ، فإنَّ الإختلاطَ بالناس يخفّفُ من مشاكلِهم النفسيّةِ، ويتيح المجالَ للتعبير عمّا يختلج في صدرِ الإنسانِ، وحينما يعبّر عمّا يدور في فكره فقد يخرج من حالة الشعور بالغُربة والوحدة إلى الأُنس والراحة، وأنَّه ليس وحده من يتحمّل أعباء الحياة الصعبة، ولو عدنا إلى روايات الأئمة عليهم السلام نجد أنهم رَبَطُوا بينَ الزيارة الإجتماعيّة وبين إحياء القلوب. قال الإمام الصادق عليه السلام: **«تزاورُوا فإنَّ في زيارتِكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثِنا»**. وما يُفهم من هذا الحديث أنَّ الزيارةَ بمثابة الدواء لمن يشعر بحالة الموت المعنوي للنفس بشرط أن تكون مصحوبةً بالأحاديث النافعة.

ومن هنا، على الإنسان أنْ لا يستغرق في التفكير بالهموم

وحدَه، بل عليه أن يخـرجَ لملاقاة الناس ولا يعتمد على الدواء الذي يتناوله كبديل عن الإنسان الآخر، بل عليه أَنْ يبحثَ عمّن يخفّـف عنـه همومه، وخصوصاً عنـد أهل الخبـرة بالحياة، من كبار السـن وأهل العلم، وأن لا يبثّ همومَـه أمام العصاة، وَمَنْ اتخذ الكفرَ سـبيلاً. فعن يونس بن عمار قال: **«سـمعت أبا عبد اللـه عليه السلام يقول: أيّما مؤمن شـكا حاجته وضُرّه إلى كافر أو إلى من يخالفه على دينه فإنما شكى الله عزّ وجل إلى عدو من أعداء اللـه، قال: وأيّما رجل مؤمن شـكا حاجته وضرّه إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عزّ وجل»**[1].

وفي هذا السياق يذكر أحد الذين عاشوا صراعاً مع العزلة أنَّ طبيبَهُ النفسـاني كان دائماً ينصحه - وبحسـب حالته - بضرورة الإحتـكاك اليومي بالناس، ولكنه لم يمتثـل لكلام طبيبه إلى أن تفاقمـت عليه الأمور، وأصبـح الدواءُ عنده بديلاً عن الإنسـان والحيـاة، ومن المعلـوم عند مـن يحدّثوننا عـن تجاربهم مدى مرارة العلاج بالعقاقير والأدوية، وكم هي مكلِفَة على المستوى المادي.

ولكن على حدِّ تعبير هذا الشـخص المُبتلى: شاءت الصُدَف أَنْ اضطررتُ إلى الخروج من المنزل لأمرٍ ما، والتقيت بصديق لـي، وهـو مـن أصحاب الخبـرة فـي الحيـاة فدعاني إلـى بيته، فتـردّدت فـي تلبية دعوتـه، وفي النهايـة ذهبت معـه، وفي تلك

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ٢/ ٤١١.

الجلسة لم نترك شيئاً إلا وتحدثنا عنه، وبعد أَنْ عدت شعرتُ بأشياء جميلة لم أشعر بها من قبل، فقد أحيا في نفسي النشاطَ والأمَل بالحياة وحبّها، ثم يتابع ويقول: شيئاً فشيئاً، أحببت مخالطةَ الناسِ حتى اكتشفت أنَّني أنا الإنسان - الجزء الآخر الضائع مني - الذي أفتقده فقد وجدته عند الناس، فبدأت أبحث عن نفسي المفقودة، وأيقنت أنَّ مرضي بسبب عدم مخالطتي للآخرين والإستفادة منهم، بل أيقنت أنّ جزءاً من علاجي هو في الحديث مع الناس، وعدم الإنعزال عنهم.

مضافاً إلى هذه الفائدةِ البالغة التأثير على نفس الإنسان، ينبغي أن تكون مجالسُ الزيارات الإجتماعية فرصة للإستزادة من ثقافة الآخرين لا الدخول معهم في القال والقيل، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**ليس من المروءة أن يحدّث الرجل بما يلقَى في سفرِه مِنْ خيرٍ أو شرٍّ**»[1]. وقال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ الله يبغض القيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[2]، لما في ذلك من تضييع للأوقات، وتورّط الإنسانْ بحصاد الألسن الذي قد يوقعه في بعض المتاعب، فضلاً عن أنّها لا تتناسب مع صفات الإنسان العاقل الذي يكثر تفكره ويقلّ كلامه.

ومن المؤسف أنَّ الطابعَ العام لمجالسنا الإجتماعية في عصرنا الحاضر هو الإشتغالُ بالكلام غير النافع، وإعادةُ كلام

---

(١) المصدر السابق: ١١/ ٤٣٣.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ١/ ٢٧٤.

التلفزيونـات والجرائد السياسـيّة بطريقة إجترارية، مما يؤدي إلى تحويل المجالس إلى حفلات إسـتغابة! فما الذي يمنع الإنسـان إذا أراد أَنْ يخـرجَ إلـى زيارة مكانٍ ما، أن يهيىء نفسَـه مسـبقاً بما يريـد قوله، وبما يريـد أن يحدِّثَ بـه الآخرين من كلمـاتٍ نافعةٍ، وحِكمٍ، وأحاديث شريفة؟!.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إنَّ الله يبغض القيل والقال،

وإضاعة المال، وكثرة السؤال



رفع التكلّف في العلاقات الإجتماعية



مـن المقوّمات الأساسـية للزيارات الإجتماعيـة رفـع التكلّـف بيـن الزائر والمـزار، مـع عـدم تجـاوز الحـدود الأخلاقيّـة بين الطرفين، فمن الخطأ أَنْ تخضـع الإرتباطات بيـن الناس إلى كثيرٍ من التعقيـد والقيود التي تمنـع من الإسترسـال بين المتزاوريـن. وأحياناً قد تصـل إلى حدّ الإلتـزام بالبروتوكولات الرسـمية، فالأخـلاق الإجتماعية تَحثّ الإنسـانَ على إقامة علاقات طيبة مع الآخر بطريقة متواضعة، فإذا دخلْتَ إلى بيت صديقك أو قريبك وأَردْتَ أَنْ تؤدّيَ صلاتَكَ فيه، فمـن المفتـرض أن لا يكون هنـاك حـرج إلا إذا كان عند صاحب البيـت عذر فـي ذلك، وقد جـاء في الحديـث الشـريف **«تزاوروا تحابّـوا، وتصافحـوا ولا تحتشـموا، فإنـه روي أنّ المحتشـيَ**[1]،

(١) يقال: تحشيت من فلان أي تذممت منه. «لسان العرب - حشا - ١٤ / ١٨٢»

والمحتشـمَ فـي النـار»[1]. والإحتشـام هنـا بمعنى الإعـراض عن الناس بطريقة إنعزالية غير صحيّة.

هـذه هي ثقافـةُ القـرآن الكريم حينمـا نفى الحـرجَ عن الأكل فـي بيـوتِ الأقـاربِ من الآبـاءِ إلى بقيـة الأرحام، ومما ورد في سـورة النور قولـه تعالـى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ إلـى أنْ قالَ عـزّ وجّـل: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ ﴾ إلـى أن انتهـى بقولـه تعالـى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[2]. إذاً بنـاءً علـى ذلك نرى بوضوح أنَّ القرآنَ الكريم رَفَعَ التكلّفَ عنّا في مثل هذه الأمور.

والمطلوب من الإنسـانِ أَنْ لا يكلِّف نفسـه بأمور لم يطلبها الله تعالـى منـه، ومـن الأمثلة التـي تضرب علـى ذلك، جـاء في بعض الروايـات، كمثـل روايـة (عبـد اللـه بن سـنان) وهو مـن أصحاب الصـادق عليه السلام، «**أنَّـه دخـل يومـا علـى صاحبـه صفوان بـن يحيى، فقال له: هل عندك شـيء؟، قلتُ: نعـم، فبعثتُ إبني فأعطيتُه درهَماً يشـتري به لحماً وبيضاً، فقال لي: أين أرسلتَ إبنكَ فأخبرتُه، فقالَ: ردّه ردّه، عنـدك زيت؟، قلتُ: نعم، قال: هاته، فإنّي سمعت أبا عبد اللـه عليه السلام يقـول: هلك امرؤ احتقـر لأخيه ما يحضـره، وهلك امرؤ احتقـر لأخيه ما قدّم إليه**»[3]. أي مقدِّمُ الضيافة والمقدَّم إليه كلاهما خاسـرٌ ومخطئٌ إذا اعتبرا أنَّ ما قدّمه أحدهما للآخر قليلٌ. وبذلك

---

(١) فقه الرضا: مصدر سابق، ص ٣٣٨.

(٢) النور: ٦١.

(٣) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٦/ ٢٧٦.

أراد الإمام عليه السلام رفع التكلّف عن طبيعة علاقاتنا، بل إذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك، فلْننظر إلى بعض الخلقيّات الإجتماعيّة في كيفيّة إستقبال الزائر. فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: **«إذا دخل عليك أخوك فاعرض عليه الطعام، فإن لم يأكل فاعرض عليه الماء، فإن لم يشرب فاعرض عليه الوضوء- والوضوء هنا أعمّ من الإستعمال الشرعي فقد يشمل التنظيف والتبرد بالماء -»**[1].

فينبغي التأمّل بهذه الخلقيّات الإجتماعيّة وما تحملُ في خباياها من الرّحمة الإلهيّة، فصاحبُ الدار يستفيد من دخول الزائر عليه بنزول البركات والرّحمات على داره، وخصوصاً أنّه ورد في مضمون بعض الروايات **«أنَّ الضيفَ إذا دخل إلى بيت من البيوت لزيارة أخيه فقد خرج بذنوب تلك الدار»**[2]. ومن أجمل ما يُقرأ أيضاً في روائع أهل البيت عليهم السلام ما ورد عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: **«لا تقل لأخيك إذا دخل عليك أكلت اليوم شيئاً، ولكن قرّب إليه ما عندك، فإنَّ الجوادَ كلَّ الجواد من بذل ما عنده»**[3].

وأما ما نفعله نحن في خصوص هذا الأمر، إذا أردنا أن نقارن بين ما ورد في الروايات وبين ما نفعله ففيه تكلّف واضح لأننا نسأل الضيف كثيراً عما يُحِبُّ أَنْ نقدّمَهُ له حتى يستحي في آخر الأمر، ولا يطلب منّا شيئاً. والذي نلاحظه أنَّ التكلَّفَ موجودٌ في

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٢٧٥.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، مصدر سابق، ٢٤/ ٢٠٥.

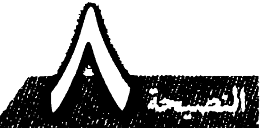
(٣) مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ط: التابعة لجماعة المدرسين، قم، ٦/ ٤٨٩،.

أكثر الواجبات الإجتماعية، ولا تتوقّف المسألةُ على مثالٍ واحدٍ، فقد صارت الزياراتُ بين الناس كمن يريد أَنْ يزورَ رئيساً أو شخصيّةً يصعب الوصول إليها. وكل ذلك بسبب طغيان الحياة المدنية علينا، وما فيها من تعقيدات وقيودات كثيرة، وكأنّنا ننسى أحياناً أنّنا من تراب وكلّنا من آدم أوّلنا نُطفة وآخرنا جيفة، تؤلمُنا البقّة، وتقتلنا الشرقة، وتنتننا العرقة! بل المشاهد أنَّ الخوفَ عند بعض الناس على أثاثِ بيوتهم ومتاعهم من اتساخِها أو قطع بعض البرامج التلفزيونية الليليّة، أهمّ من التلاقي والتزاور! فإذا أردنا أَنْ نكون أكثرَ قرباً من الواقع، فعلى الأقلّ علينا أَنْ نرفَعَ الكلفةَ بين الأرحام وننشر فضيلة التواصل بين الأقارب.

إذاً، من المفترض أَنْ تقومَ العلاقة الإجتماعية على أساس المعاملات السهلة، والقبول بالآخر على هيئته وطبيعته، وليس على طريقة أخرى، بحيث يؤدي التكلّفْ إلى عدم التواصل والتراحم، ويزيد البعد بين الناس. وفي نهاية الأمر يتعجّب الإنسانُ من هذه الأخلاقيات الإجتماعية التي لا تتناسب في كثير من الأحيان مع الخلقيات الإسلامية، ولو التفت الإنسانُ إلى ما فيها من مضارٍ لَعَلِمَ أَنَّه خَسِرَ الكثيرَ من الفوائدِ والثواب الأخروي بتركِهِ للخلقياتِ الإجتماعيةِ والآدابِ الإسلاميّة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إذا دخل عليك أخوك فاعرض عليه الطعام

المشاركة بمناسبات العزاء



مهما حاول الإنسان أن يعيش مستقلاً عن الناس، منعزلاً عنهم، فإنّ حوادث الأيام ونوائب الدهر من المصائب والإبتلاءات تجعله يخضع إلى نظام العلاقات الإجتماعية، وضرورة الإندماج مع الناس بعد عزلته عنهم، وتشعره بالحاجة الماسّة إلى الآخرين لكي يكونوا مواسينَ له، وما ذلك إلّا لاستشعار الضعف الذي يمرّ فيه.

ففي حالات الإبتلاء والشّدة يعرف الإنسانُ قيمةَ التواصل مع الناس، وقد يؤاخذ نفسَه كثيراً على تقصيره تجاههم، فيُعيد حساباته من جديد حتى يرجع إلى مكانته الإنسانية بين الناس. وينزل عن كرسيّ التّعالي والكبرياء. وقد أشارت بعض الروايات إلى هذه الحقيقة أنَّ حالَ الإنسان يتغيَّر عند البلاء، كما جاء في

الحديث عن النبي ﷺ **«لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسَهُ شيء: المرض والموت والفقر»**[1].

فهذه الأشياء، وإنْ كَرِهَهَا المرءُ، إلا أنَّها تلعب دوراً مهمّاً في إعادة النفس الإنسانية إلى طبيعتها الإجتماعية، والذي يشجّع على ذلك هو الدينُ الإسلامي الذي قدّم نموذجاً رائعاً في أخلاقيات المشاركة مع الآخرين في عزائهم، ومصائبهم فضلاً عن أفراحِهم وغير ذلك، حتى أنَّ إيمانَ المرءِ لا يكمل حتى يشارك المؤمنين في أفراحهم وأتراحهم، بل إنَّ المؤمنَ لا يُسمَّى شيعيّاً حقيقيّاً حتى يتحلَّى بهذه الفضيلةِ، فعن محمد بن عجلان **«قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فدخل رجل، فسلّم، فسأله - يعني الإمام عليه السلام -: كيف من خلّفت من إخوانِكَ؟، قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى، فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة، قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟، قال: قليلة، قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟، قال: إنك لتذكر أخلاقاً ما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة!»**[2].

ولذا، مَنْ يطّلع على تلك الآداب يلاحظ أنَّ الإسلامَ مدرسةٌ متكاملةٌ في تذكير الإنسان بضرورة الإنصهار ببيئته الإجتماعية، ومِنْ أهمِّ تلك المناسبات التي تبرز تلك المشاركة الإجتماعية

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ١/ ٣٠٦.
(٢) الوسائل، مصدر سابق، ٩/ ٤٢٨.

بشكل واضح هي مناسبة العزاء. فعند مناسبة الوفاة نلاحظ أنَّ الدِّينَ الإسلامي اهتمَّ بحضور النَّاس واستحباب تواجدهم بين أهل العزاء لِمَا في ذلك من أَثرٍ تربوي على نفوس الأحياء، ومن أثرٍ رحمانيّ على الميّت نفسه.

من جملة الآثار التربويّة لقيام الإنسان بواجب العزاء، أنّ مستحباتِ العزاء الإجتماعية فيها تعظيم لحرمة الميّت، وتذكير الأحياء بالأمر الحتمي الذي لا مناص منه، وهو الموت، وأنَّ الناسَ سيعودون إلى أصلِهم الترابي، فترى في اجتماع الناس للتعزية حالةً من استذكار الأمور المنسيّة من الدِّين، وإكثاراً من إهداء الأعمال الصالحة للميّت، وتعميم خصاله الحميدة بين الناس، لأننا مأمورون بذكر محاسن موتانا لا أن نذكر سيئاتهم.

فَذِكْرُ المحاسن يشجِّع الناس ويعوِّدهم على ملاحظة الأفعال الحسنة، وغضّ النظر عن الأشياء القبيحة. لذا نلاحظ في الصلاة على الميّت حينما نستعمل عبارة «**اللهمَّ إنَّا لا نعلم منه إلاّ خيرا**» أن في ذلك تذكيراً لنا لذِكْر حسناتِ الإنسان، والتغافل عن سيئاته، فهذه المشاركة الإجتماعية تعتبر ببعدها الديني طلباً للرحمة الإلهية، واستغفاراً للإنسان الميّت، وتقويةً لحضور الإنسان ومشاركته في مثل هذه المناسبات، ومن الخطأ أَنْ يقولَ الإنسانُ: أُحبّ مشاركةَ الناسِ في الأفراح، وأكره المشاركةَ في الأتراح (الأحزان)، والصحيح أن يحبَّ النوعين معاً، وأن ينوّعَ بين الفرحة والشعور بالحزن، لأنّ أيّامَ الدنيا تدور علينا جميعاً

بمرّهـا وحلوهـا، ولا تسـتثني أحـداً منّـا، وبالتالي مِـن الخطأ أَنْ يسـتثني الإنسانُ نفسَه من هذه المناسبات دون مبرّر أو عذر يعفيه من هذه المشاركات.

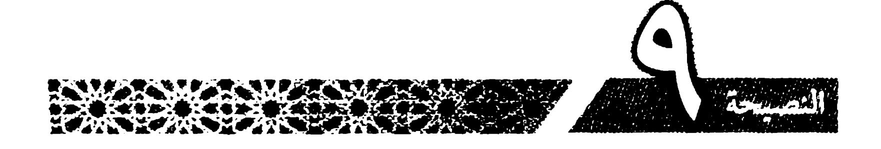
ومـا ينبغـي أَنْ ننصـحَ بـه، أَنْ يكـون الإنسـانُ ملتفتاً إلـى آثار المشاركة الإجتماعية، فكلما كان فاعلاً في حضوره الإجتماعي، سـيكون ذكرُهُ أكثر فاعلية بعد حياته، مما يزيد في حسـناته، ورفع درجاته، وإطفاء نيران سيئاته.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

لولا ثلاثة في ابن آدم

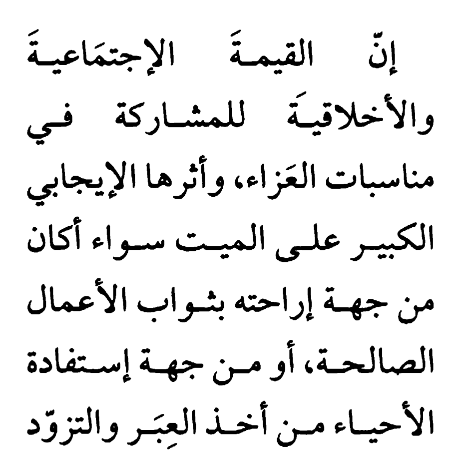
ما طأطأ رأسه شيء:

المرض والموت والفقر



التعزية ومواساة صاحب المصيبة





إنّ القيمـةَ الإجتمَاعيـةَ والأخلاقيـةَ للمشـاركة فـي مناسبات العَزاء، وأثرها الإيجابي الكبيـر علـى الميـت سـواء أكان من جهـة إراحته بثـواب الأعمال الصالحـة، أو مـن جهـة إسـتفادة الأحيـاء مـن أخـذ العِبَـر والتزوّد لعالم الآخرة ، تفرض علينا مقاربة هذا الموضوع من منظارٍ آخر.

فمـن المعلـوم أنَّ الخسـارةَ المعنويّـة أو الماديَّة التـي تصيبُ الإنسـانَ تُضعفُ قِـوَاه الفكريّـةِ والجسـديّةِ، وقد تخرِجُـه أحياناً عـن حدِّ المألـوف، لكثـرةِ التضجّر، وقلّـةِ الصبر. ففـي مثل هذه الحالات الصعبة يحتاج الإنسـانُ إلى مَنْ يواسيه ويصبِّره، ويقفُ إلـى جانبه كي يسـتعيدَ نشـاطَه وحركتـه الطبيعيَّـة، خصوصاً عند الذين يتميّزون بمشـاعر إنسانيةٍ مرهفةٍ، فهؤلاء أكثرُ النّاس عرضةً

للإنتكاسات النفسيّةِ والروحيّةِ، ولهذا يأتي الدورُ الإجتماعي لمعالجة الإنكسار النفسِي عند المصاب، وليس هذا من باب التقليد والعادة. إنّما في الحقيقة هو عملية إحياءٍ للآخرِ بعدَ إصابتِه بالبلاء.

وفي هذه الأحوال الحَرِجَة، قدّم الدينُ الإسلامي نموذجاً رائعاً في التّواصلِ الإجتماعي بين الناس، وذلك بأن يبكُوا معاً، ويفرحُوا معاً، لما في ذلك من توطيد للمعاني الإنسانية المجهولة. فالمؤمنون يقومون بتجهيز الميّت وأداء الواجب الكفائي تجاهه(الذي إن قام به واحد من المسلمين سقط عن البقية)، والجيران بدورهم يقدّمون الطعامَ لأهل الميّت، وبهذا الشكل تتفاعل مشاعرُ الناس، كالجسد الواحد، ولأهميّة هذا الدور الذي يقومون به، فقد اعتبر الدين الإسلامي أنَّ من مواريث التعزيةِ الجنَّة، حيث ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التعزيةُ تورثُ الجنّة**»[1]، وعنه أيضا عليه السلام أنه قال: «**من عزَّى الثكلَى أظلَّه اللهُ في ظلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مَن عزَّى مصاباً كانَ له مثلُ أجرِه مِنْ غَير أنْ ينتقصَ من أجرِ المصَاب شيء**»[3]. ومن هنا، ينبغي التأمل في هذا الرواية، ولِمَ يا تُرى هذه

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ٣/ ١٩٧٢.
(٢) الوسائل: مصدر سابق، ٣/ ٢١٤.
(٣) مصدر سابق: ٣/ ٢١٣.

المكَافـأَة الجزيلَة؟ إنّ إحدى أهمّ منافع هذا العمل الإنســاني هو سـعيُ الإنسـان لتقديم المنفعة والمعونة إلى الناس، وهي صدقة ببعدهـا المعنوي الشـامل، وذلك على قاعـدة: «**الخلقَ عيالُ الله وأحبُّهـم إليه أنفعهـم لعياله**». بل ذهب الدّينُ إلى حسـاب الأجر والثواب على كل خطوة يخطوها الإنسـان في تشييعه للجنازة، إذ جعـل للحي في كل خطوة يمشـيها خلف الجنـازة مائة ألف ألف حسـنة. قالﷺ: «**مَنْ شـيَّعَ جنازةً فله بكل خطـوةٍ حتى يرجع مائة ألف ألف حسـنة، ويُمحى عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له مائة ألف ألف درجة..**»[1]

هـذا هـو المنطق الذي يعلّم النـاسَ على كيفيّة الخـروج من عالم الأنانيـة الحـادة، والإنطلاق إلـى التعبير عن الذات في وسـط الحياة الإجتماعية المليئة بالتضحيات والعطاء، ولو أراد الدين الإسلامي أنْ يَفْصِلَ بين الخُلقيَات الدينية الإجتماعية وبين أحكامه المرنة لكانَ من أوّل الأمر قد عافانا من هذه الواجبات أو المسـتحبات والأخلاقيات العالية، ولكان قد تركنا نتصرّفُ كما يحلو لنا وكما نشتهي.

فبـدل أن نكرم الميت بدفنه، وبالمشـاركة الجماعيّة في عزائه، نأخـذه إلـى الأفران الخاصـة بالموتى - كما هو شـائع فـي أيامنا فـي العديد مـن دول العالـم المدعية للحداثة والتطّـور والتحضّر - ونحوّلـه إلـى ذرات رماديّـة لا تتعـدّى قيمتُهـا أكثرَ مـن حجمِ

---

(١) المصدر نفسه، ٣/ ١٤٣

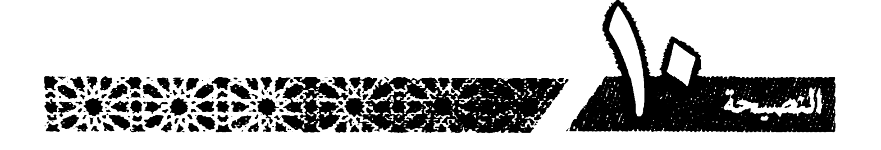
٢ الوسائل، مصدر سابق، ٣/ ٥٥.

قـارورة صغيـرة، وبالتالي تضمحل سـائر المظاهـر الإجتماعية، وينعـدم الإرتباط بين الدنيا والآخرة. ولكنَّ الإسـلامَ جعلَ حرمةَ المؤمِـنِ ميتـاً كحرمتـه حيّاً. فعـن الفضل بن يونـس الكاتب قال: «**سـألت أبا الحسـن موسـى عليه السلام، فقلت له: ما ترى في رجل من أصحابنا يموت ولم يترك ما يكفّن به، أشـتري له كفنه من الزكاة؟ فقـال: أعطِ عيالَه من الزكاة قدر مـا يجهزونه، فيكونون هم الذين يجهزونـه، قلت: فإن لم يكن له ولـد ولا أحد يقوم بأمره، فأجهزه أنـا من الزكاة؟، قـال: كان أبي يقـول: إن حرمة بـدن المؤمن ميتاً كحرمته حياً، فوَارِ بدنَه وعورتَه وجهّزه وكفّنه وحنّطه، واحتسـب بذلك من الزكاة، وشيع جنازته - إلى آخر الحديث -**»[٢].

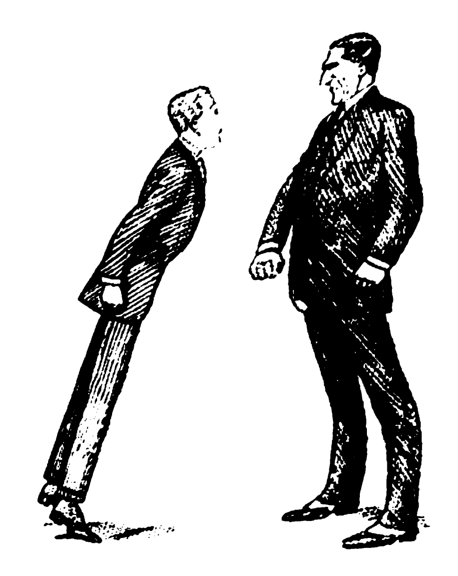
والعِبـرة مـن هذه الأمـور كلّها أنّ الدين الإسـلامي جـاء ليدلَّ البشـر على الإنسـانية التي أماتتهـا أطماعُ النـاس وحرصُهم على حطـام الدنيا. نسـأله تعالى أن ينـوّر عقولنا، ويدلنـا على صراطِنا المستقيم، ويرشدنا إلى الصواب، حتى نعرفَ الله حقَّ المعرفة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

التعزية تورث الجنَّة



النظرة الإيجابية الى الآخر وحُسن الظنّ به



إنّ من أهمّ مقوّمات العلاقات الإجتماعية الناجحة هي رؤيةُ الأشياء الجميلة والحسنة عند الناس، وغضّ النظر عن النقاطِ السلبية، بمعنى أنَّ كلَّ إنسان يحملُ صفاتٍ إيجابية ممدوحَة، وأخرى سلبيَّة مذمومة، ولكنّ المشاهَد أنّ النفس الأمارة بالسوء تميل سريعا إلى تقويم الآخرين - في كثير من الحالات - بطريقة غير منصفة، وتحكمُ عليهم وفقاً للصفات السيّئة دون الأخذ بعين الإعتبار الصفات الحسنة، ففي يوم من الأيام السالفة كان النبي عيسى بن مريم عليه السلام يمشي في الصحراء ومعه بعضُ الحواريين يسيرون إلى جنبه، وفي طريقهم

صادفُوا جيفةَ حيوانٍ مهترئة فسريعاً ما صدَرَ من الحواريين ألفاظ وإشاراتٌ تدل على الإشمئزاز والإستقراف لما رأوه من بشاعة المنظر، فعاجلهم عليه السلام بالقول: «**انظروا إلى شدّة بياض أسنانها**»[1].

نعم، هكذا يفترض بالإنسان أن يكون عادلاً ومنصفاً في نظرته تجاه الآخرين، ولا يكون سريعاً بالميل إلى رؤية الأشياء القبيحة فيهم، ونسيان الأشياء الجميلة التي صدرت منهم، وهذا ما أراده النبي عيسى عليه السلام من تلامذته. أراد أن يعلّمهم أننا نحن البشر، دون المعصومين لا نخلو من أحد هذين الوصفين.

ومن الأمثلة التي تضربُ على ذلك لتنبّهنا على هذه الحقيقة أن ذات يوم دخل أستاذ جامعي إلى قاعة المحاضرات، ووقف أمام اللوح ورسم نقطة سوداء في وسطه، وسأل الطلاب: ماذا تشاهدون على اللوح؟ كلهم أجابوا بإجابة واحدة، نشاهد نقطةً سوداء، لكنَّ الأستاذ الحاذق فاجأهم بقوله: ولماذا لم تلحظوا اللون الأبيض مع سعته ووضوحه؟! ثمَّ علّق بقوله: ونحن البشر فيما بيننا هكذا ننظر إلى بعضنا البعض، ونستعجل النظر إلى الصفات السيئة في الإنسان قبل النظر إلى صفاته الحسنة.

إن مثل هذه التربية في المجتمعات الإنسانية تدفع بالإنسان إلى تكوين عقيدة سوء الظن بالآخرين، اللهم إلَّا في حالة مَنْ وَضَعَ نفسَه موضعَ التهمة فلا يلُومَنَّ من أساء به الظن. وإذا أراد

(١) الفضائل والرذائل، المظاهري، قم، ص ٩٠.

الإنسانُ أن يريحَ نفسَه ويبني علاقات طيّبة مع الآخرين فعليه من أوّل الأمر أنْ يوطّن نفسَـه على أنَّه سـيلاقي وسيشـاهد صورتين في علاقتـه بالناس: الصـورة السـوداء والصـورة البيضاء، ومن غيـر الصحيح أن يبني هذا الإرتباط بينه وبين الناس وفقاً للصور السـوداوية، بـل مـن المفتـرض أن تكون هـذه العلاقـة كما قال الصادق عليه السلام: «**صلاحُ حالِ التعايش والتعاشُر ملء مكيال ثُلُثاه فطنة وثُلُثه تغافل**»[1] أي لا يمكن أن تستقيم العلاقات الإجتماعية إلا بالتغافـل عن جزء من بعـض تفاصيلها، وأنْ يكون الإنسـانُ في الأجزاء الأخرى من هذه العلاقة فطِناً وملتفِتاً ومتنبّهاً إلى كل ما يدورُ حوله.

إنّ هذه القاعدة الإجتماعية السليمة تخفّف عنّا الكثيرَ من أعباء الحيـاة وذلـك في مختلف أوجهِهَـا وتنّوعاتها وتفاصيلها، سـواء أكانت مع أولادنا وأزواجنا أو مع أصدقائنا، ومَنْ منَّا لا يحمل في خباياه تلك الصورتين، ولذلك على الإنسان أن يكون موضوعيّاً، وواقعيّـاً، ولا يطلب أموراً خياليةً وغيـر ممكنة من الآخر، خاصة مـن الزوجة، فإنَّ التعاملَ معها بشـكل متوازن مـع قدراتها يجعل الحيـاةَ الزوجيّــة أكثـرَ مرونـة، فعن إسـحاق بن عمـار، عن أبي عبـد الله عليه السلام «**قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: إنّما مثـل المرأة[2] مثلُ الضلـع المعـوج إن تركته انتفعت بـه وإن أقمته كسـرته**»[3]، وفي

---

(١) تحف العقول، الحراني: ط: التابعة لجماعة المدرسين، قم، ٢٥٩.
(٢) الوسائل: مصدر سابق، ٢٠/ ١٧٣،.
(٣) الوسائل: مصدر سابق، ٢٠/ ١٧٣،.

رواية أخرى قال: «**إنّ إبراهيم شكا إلى الله ما يلقَى مِنْ سوءِ خُلُقِ «سارة» فأوحَى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمتَه كسرته وإنْ تركته استمتعتَ به اصبر عليها**»[1]. وعليه، مهما حاول الرجل أو المرأة أن يجمع الكمال فمن الصعب جدّاً أن يدّعي أحد منهما ذلك، ومن اعتقدَ أنَّه الإنسان الكامل وخصوصا في أخلاقيّات حياته الزوجية، فيعنِي ذلك أنَّه لن يستطيعَ أنْ يتعايشَ مع الآخرين عيشة هادئة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

صلاح حال التعايش والمعاشرة
ملءُ مكيال ثلثاه فطنة
وثلثه تغافل

(١) المصدر نفسه، الموضع نفسه.



الكمال الإنساني في المشاركة الإجتماعية



إذا نظرنا إلى صورة تكويننا والهيئة الجسمانية التي صُوّرنا عليها أحسنَ تصوير فإنَّنا نلاحظُ أنَّ أعضاء بدن الإنسان في تركيبه البديعِ في غاية التناسق والكمال، مضافاً إلى وظيفة كل عضو من أعضاء الإنسان المستقلّة، فإنَّ أجملَ صورةٍ لهذه الوظائف هي خدمتها لبعضها البعض، ولو فَقَدَ هذا الجسمُ الماديُّ عضواً منه لاختلَّت بعضُ وظائفه، فهناك مشاركة عملية بين هذه الأعضاء، حيث يقوّي بعضها الآخر على تحقيق غايات الأعمال وكمالِها. فمثلاً إذا أراد الإنسانُ أن يبنيَ جداراً فليست اليدُ وحدَها من يبني الجدار، وإنْ كانت هي المباشرة في ذلك، ولكنَّ الصحيحَ أنْ أكثرَ أعضاءِ البدن تقدم العونَ لليد المباشرة في البناء.

هذه الصورة الجماعية في العمل تمثل درساً للجسم

الإجتماعي، فمن المفترض أن يكونَ الناس مع بعضهم البعض، كوظائفِ أعضاء الجسم الواحد، بمعنَى أنْ يسَاعِدُوا بعضَهم البعض في إكمال أدوار الحياة، على نحو ما تفعلُه الطبيعة في مساعدة عناصرِها الأربعة لبعضها البعض بُغْيةَ خروج البَذرةِ المطمورةِ تحت التراب إلى عالم الحياة والنور.

هذا الدرس، نلاحظُه في الأشياء كلّها، وأنَّ ما نحتاجُه هو المشاركة للتفاعل بينها.

وفي خصوص موضوعنا بما يتعلّق بالجِسم الإجتماعي والشراكة الإجتماعية بين الناس لا بُدّ أن يكونَ التعَاونُ بين أفراد المجتمع هو السمةُ البارزة في أفعالهم، وذلك من خِلال مساعدةِ الكبير للصغير، والغني للفقير، وتعليم العالم الجاهل، ومعالجة الطبيب المريض، وحفظ الشجاع للكرامات، وحفظ صاحب الغيرة والحميّة للأعراض، وغير ذلك، فهذه الوظائف المتناسقة في الجسم الإجتماعي إذا تمَّت على النحو المطلوب فإنّها تعطي صورةً إنسانية كاملة للغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ولكن تظهر هذه الصورة الإنسانية على نحو كامل حيث جاء الدينُ الإسلامي ليشّجعَ عليها ويأمر بها، ووضع لها عناوين مختلفة، وأهَمُ هذه العناوين قضاءُ حوائج الناس، فمِنْ أفضل الأعمال عند الله سبحانه أن يقومَ الناسُ بدور المشاركة الجماعية في تأدية متطلبات الحياة دون إشعار الآخرين بالمِنّة والأذيَّة، ولولا هذه المشاركة بتقديم العون والمؤازرة وبذل التضحيات لإتمام

حوائـج الناس وقضائها لكان من الصعـب جدّاً أنْ يتعايش الناسُ مع بعضهم، ولما كان بالإمكان أن تنمو فكرة التكافل الإجتماعي والعدالة الإجتماعية. لذلك فإنَّ من أكبر الأخطاء أن نعادي بعضنا البعض، وننفر من بعضنا البعض، لأنه سـيأتي اليوم الذي نجد فيه أنفسَـنا أنّنا مضطرون لطلب العون من بعضنا، وبالخصوص ممن نعاديهـم وننفـر منهم، وكونوا على يقين أن الدين الإسـلامي جاء من أجل جعل الناس يداً واحدة، وجسماً واحداً كجسم الإنسان، ومـن أجمل ما ورد في الأدبيات الإسـلامية ما عبَّـر عنه النبي ﷺ بقوله: «**المؤمنون في تبارّهم وتَراحُمهم وتعاطُفهم كمَثل الجسـد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى**»[١].

وعـن الإمـام الصـادق عليه السلام أنـه قـال: «**صالـحُ الأعمـال البرُّ بالإخوان، والسـعي في حوائجهم**»[٢]. وعنه عليه السلام قال: «**لا يكونُ المؤمـنُ مؤمنـاً أبداً حتى يكون لأخيه مِثل الجسـدِ إذا ضرب عليه عرقٌ واحدٌ تداعت له سائرُ عروقِه**»[٣].

ومضافـا إلى هـذا التأكيد، لم يكتفِ الإسـلام بالتشـجيع على قضاء الحوائج فحسـب، بـل جعل لقضاء الجوائـج ثواباً عظيما، حيـث ورد في بعض الأخبار أنه «**مَنْ قضَـى لأخيه المؤمن حاجةً قضـى الله عزَّ وجلَّ له يـوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك، أوّلها**

(١) ميزان الحكمة، الريشهري:، ط: دار الحديث ٤/ ٢٨٣٧.
(٢) المصدر السابق: ١/ ٢٤٨.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٠٦.

الجنّة، ومن ذلك أن يُدْخِل قرابتَه، ومعارفَه، وإخوانَه الجنَّة»[1].

بعـد هـذا الإيجاز لأهميـة المشـاركة الإجتماعيـة ينبغي أن لا نقصـر في قضاء الحوائج ونحن قادرون على فعلها، ولا نسـتحي بالقليل منها، فإنّ الأشـياء تقدّر بقيمتهـا ونوعها لا بكمّها، وعلينا أن ننتبـه دائمـا إلى أنَّ الأمـور قائمة على طرفين، علـى فعل وردّة فعـل، وكما ندينُ نُدان، فإذا قضى الإنسـانُ حوائجَ الناس قُضيت حوائجُه، وإلّا لو مَنَعَ وحَرَمَ فإنَّه يُمنَع ويُحرَم.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

المؤمن .. أَلِفٌ مألوف[1]

ولا خيرَ في من لا يَألف ولا يؤلف

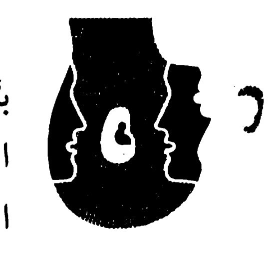
(١) من الإلفة والمحبة.

---

(١) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ١٩٣.



اِتّباع العادات الإجتماعية



من القبيـح جدّاً أن يكون الإنسـان ببّغائيـا فـي أفعالـه وأقوالـه، يقلّـد الآخرين في كل شيء، وخصوصاً في الأشياء التي تضرّه، ولعدم الوقوع في التبعيّة العمياء ينبغي أن يجعل الانسان من عقله ودينه ميزاناً يوازن به بين الأشياء الضارة والنافعة، ويَمِيز الحقائق العلميّة من الخرافات الشـعبيّة، كعـدم اللجوء إلى طرق الشعوذة والأمور الشيطانية لمعالجة مشاكل الحياة.

مـن هنـا، حذّرَنـا الأئمـة عليهم السلام مـن الثقافـة التقليديـة بالمعنى السـلبي، كقول الإمام الكاظم عليه السلام لفُضَيل بن يسَـار: **«أبلغْ خيراً وقُـلْ خيراً ولا تكُنْ إمَّعة، قلتُ: ومـا الإمَّعة؟، قال: لا تَقُلْ: أنا مع النـاس وأنا كواحدٍ مـن الناس»**[1]. فـلا تقل لكل فكرة تسـمعها:

(١) تحف العقول للحراني: ط: التابعة لجماعة المدرسين، ص ٤١٣.

اعتقـدت بها وصدَّقتها، فالمعيَّـة هنا بمعنى أن تقلد الآخرين دون النظر إلى طبيعة هذه التبعية، وفي واقعنا المعاش عشـرات الأمثلة التي تكشـف عن أفعال الناس التي يتبعـون فيها الآخرين دون أن يسـأل أحدٌ نفسَـه لماذا فعل هذا الأمر أو تـرك ذاك؟ وهل ما فعله مطابـق للموازيـن الشـرعيّة أم لا؟، فمثـلا لو قام شـخص وعلّق حذاءً علـى أعلى باب داره للاحتراز من صيبة العين، فترى بعض الناس يعلّقون الأحذية على كلِّ شيء ذي قيمة عالية اعتقاداً منهم أنَّ هـذه المعلّقـات تدفـعُ الحسـدَ والشـر، في الوقـت الذي جاء الدّين الإسـلامي بعـلاج مثل هذه الأمـور، فأمرنا أن نتعـوَّذ بالله تعالـى من الأشـياء التـي نكرهُها ونخـافُ منها، وعلّمنـا ذلك في القـرآن الكريـم، كما في سـورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، وفـي الروايـات التـي وردت عن النبي ﷺ والأئمـة عليهم السلام لهـذه الغاية، كمثـل الرواية التـي وردت عن الإمام الكاظم عليه السلام **«أنّه إذا تطيرت من شـيء فقل: اعتصمت بك يا ربّ من شرّ ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك»**.

ومـن العـادات التـي يتداولُهـا الناس أيضـاً إلقاء السّـلام والتحيَّة الشـرعيّة (**السـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركاتـه**) على مَـنْ يعرفُونه فقـط، ونرى النـاس كيف يقلّدون بعضهم البعـض بإلقاء التحيّة على مَنْ يعرفونه ويهملُون ذلك إذا صادفوا مَنْ لا يعرفونه من المسـلمين، والصحيح أنَّ هذه التحيّة هي صيغة دعاء ويُستحّب أن تُلْقى على كل مـن نلقاه مِنَ المسـلمين، بل يُعـدُّ إلقاء التحيّة الإسـلاميّة على من لا

نعرفه من التواضع، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ «إفشاء السلام بين الناس من المنجيات يوم القيامة».

وممّا لا ريب فيه أنّ هذه العادات تخالف الخلُقيات الإجتماعية التي جاء بها الإسلام، فلْننظر كيف يتأثّر الإنسانُ بثقافة بيئته ولا يلتفت أصلاً إلى حقائق الأمور، ومضافاً إلى ما ذكرناه فثمّة شواهدُ أخرى تؤكّد على ذلك **الإتّباع الأعمى**، كما لو نظر بعضُ الناس إلى شيء جميل، فإنّهم يعاجِلُون ذلك بطرقِهم على الخشب لدفع الحسد، وترى الصغير كالكبير يتعلّم هذه العادة، ولا يعرفُ أنَّ أصلَها من العادات الوثنية، والشعوب التي كانت تطرق على جذوع الأشجار حتى تخلِّص أرواح ملوكها من الشياطين.

والصحيح أنْ نسبِّح الخالق بأي لفظ من الألفاظ المقرونة بذكر الله تعالى لأن الله وحده من يَقِي الإنسان من شرور الأشياء التي يخاف منها، وفي بعض الأوقات ترى عندهم مقاييس عجيبة في تحديد الخير والشر، فأحيانا يتشاءمون من أمور خيّرة ويفرطون في عاداتهم التشاؤمية، فلا يوجد شيء إلا ووضعوا له علامة شؤم، ففي الأيام مثلا يتشاءمون من اليوم الثالث عشر، وفي المخلوقات، يتشاءمون من صوت الطائر البوم والحيوانات النائحة ليلاً، وهكذا الأمر في أي شكل من الأشكال التي تصادفهم في حياتهم اليومية فإنهم يلجؤون مباشرة إلى عقيدة التشاؤم، ولو ذهبنا إلى الشرع والدين وإلى السبيل الحق فنجد أنه أمرنا بالنظرة التفاؤلية إلى كل ما نراه ونعاينه في الخارج، وأن نهوّن الأمور على

أنفسنا ولا نشدد عليها، قال الإمام الكاظم عليه السلام: **«الطيرة (الشؤم) على ما تجعلُها، إن هوّنتها تهونت وإن شـدّدتها تشـددت، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئا»**[1].

ولو أردنا أن نسوق الأمثلة كلّها لما انتهينا منها لأنها في الحقيقة لا تعدّ ولا تحصى، والعبرة من كلامنا أن نحدد موقفنا تجاه هذه الأمور وفقـاً للموازين الشـرعية وطبقاً للخلُقيات الإسـلامية التي أمرنا الله تعالى بها، وخصوصا أننا نتشـارك مع بعضنا البعض في حياة واحدة وإن تعددت بيئاتنا، إلا أن وسائل الإتصال المتاحة بين أيدينا صغّرت مـن حجم العالم وجعلته بيئة موحّدة غير متباعدة بالقيم والمفاهيم، مما حتمت على الإنسان المسلم أن يتحرّز من انتقال مفاهيم خاطئة إلى فكره وعقيدته، وقد يأخذها أخذ المسـلمات، وهو لا يدري أنها أجنبية عن الخلقيات الدينية الإسلاميّة.

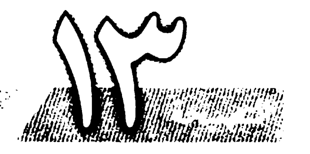
أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾[1]

(١) الأنعام: ١١٦.

---

(١) وسائل الشيعة، مصدر سابق، ١١/ ٣٦١.



الوفاء بتسديد الديون



يعتاد الناس في علاقاتهم الإجتماعيّة على تقديم المعونات الإنسانيّة والماديّة، ويتبادلون مختلف أوجه المصالح ليعبّروا بذلك عن محبتهم لبعضهم البعض، وخصوصاً أنَّ لهذه الخدمات أثراً إيجابيّاً على استمرار العلاقات الطيّبة بين الناس، وإذا ذهبنَا إلى منبع الحكمة والنبوّة والطهارة فإنّنا نقرأُ حديثاً يوصفُ هذه الحقيقة بشكل دقيق، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**طُبعت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها**»[1]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**الإنسان عبد الإحسان**»[2]. وهذا المعنى يؤكّد على تأثير المعاملة الحسنة في عواطف الناس وأفكارهم، وإحدى تلك العادات المعبّرة عن محبة الناس لبعضهم البعض

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٦/ ١٨٤.

هي قضاء حوائجهم كمثل منح القروض والديون، أو حفظ الأمانات والأشياء الثمينة، أو الإستفادة من بعض الأشياء عن طريق الإعارة، وبما أنّ هذه المساعدات التي يقدّمها الإنسان للآخرين لا تدخل في عنوان الهبات وأرباح التجارة، فإنها أكثر عرضة لتسبيب المشاكل بين الأصدقاء، لأنّ أكثر سجايا الناس بروزاً غفلتهم عن مسؤوليّاتهم تجاه أموال الآخرين وحقوقهم، بل بعضهم يتناسى ما عليه من الديون، أو ما عنده من الأمانات، ولهذا احتاج هذا النوع من تبادل المصالح إلى معرفة الخلقيات الدينية والإجتماعية التي تبعد العلاقة الإنسانية عن أي نزاع مالي أو خلاف إجتماعي.

ولا بد في أول الأمر أنْ نذكّر بعضَنا أنَّ أكثر الخلافات الإجتماعية سببها النزاع على الأمور المالية، ومما يقال في هذا المجال: إنه في يوم من الأيام كان النبي عيسى عليه السلام يمشي في الصحراء ومعه عدد من أصحابه، وفي طريقهم لفت نظرهم عدد من سبائك الذهب المغبرة بتراب الأرض، فقال روح الله: هذا ما اختلف عليه أبناء الدنيا، وإياكم أن تقعوا في هذه المصيدة.

ويبدو أن هؤلاء التلامذة لم ينصتوا جيداً إلى معلمهم، فصاروا يتركونه الواحد تلو الآخر حتى رجعوا إلى ما افتتنوا به من الأحجار اللامعة. وبعد أن وزّعوا الحصص على بعضهم طلبوا من أحدهم أن يذهب إلى السوق ليشتري لهم طعاما، فالذي ذهب إلى السوق أهلكه الطمع فقرّر أن يضع السم لرفقائه ليقضي عليهم ويستحوذ

على الذهب كلّه، وكذلك فعل رفقاؤه فقد فكّروا بالطريقة نفسها، أنـه إذا عـاد نقتلـه ونأخـذ الذهـب وحدنـا، والنتيجـة أن الجميع ماتوا بالقتل والسـم. وعلى هـذه القاعدة نقيس كثيراً من تصرفاتنا الخاطئة، فلو كان الإنسـان بحاجة إلـى مال ليقضي حوائجه، ولا يجد في يده ما يسـدّ حاجته الملحّة فإنـه من الطبيعي أن يلجأ إلى صديـق حميم ويطلب منه قَرْضـاً لأَجَلٍ معيَّنٍ أو غير معيَّنٍ، فيقوم الصديـق المقـرِض بتقديم العون لصديقه من أجل تسـهيل أموره وتفريج همّه.

وهنـا يبدأ المشـوار الصعب بيـن الأصدقاء، ففي حـالات كثيرة لا يلتـزم المقتَرِض بالأجل الذي اتفق عليه لسـّد ما عليه من الدَّين، فإمّا أن ينسـاه كليّـاً، أو أنه يتعلّل بالأعذار المانعـة من إرجاع المال إلى صاحبه، ولا شـك أن مثل هذا التصـرف كفيلٌ باهتزاز الثقة بين الأصدقاء والناس عامـة، بل كفيل بتحويل الصديق إلى عدو لدود، والكارثـة العظمـى أنه إذا طالـب صاحب المال بمالـه فترى بعض الناس- في مثل هذه المواقف - يرمي صاحب الحق المطالب بماله بصفـات دنيئة، كقوله: إن فلاناً بلا عاطفة ولا دين، ويمطره بالكلام الـلاذع، وكأنّ صاحـب الحـق يسـتجدي منـه صدقة، وفي أحسـن الحـالات يُرجع إليه بعض المال المقترَض بطريقة مهينة وخاسـرة، وقد شددت الشـريعة على أداء الأمانات والديون لأهلها، فعن أمير المؤمنين عليه السلام «**أصل الدين أداء الأمانة والوفاء بالعهود**»[1].

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ٢/ ٩٤٥.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**شر الناس من لا يعتقد الأمانة، ولا يجتنب الخيانة**»[1].

ولذا ينبغي على المقترِض أن يكون صادقاً في وعوده، ومسؤولا عن كلامه في إرجاع الحقوق إلى أصحابها، وخصوصاً إذا كان قادرا على تأدية الحقوق إلى أهلها في وقتها.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

أصل الدين أداء الأمانــة

(١) المصدر السابق: ٢ / ١٤٢١.



الصدق في الإلتزمات الإجتماعية والمالية



تحدثنا سابقاً عن المشاكل التي تقع بين الناس بسبب التهرّب من تسديد الديون، وهنا لا بد أن نلفت نظر من ابتلي بمثل هذه المواقف، أنه من أخطر الأمور في مسار حياة الإنسان أن يضع نفسه موضع التكذيب والتّهمة، لأنَّ من تعوّد على الإقتراض وعدم تسديد ما في ذمته من الديون للناس فإنه سيفقد ثقتهم وسيعرّض نفسه لتكذيبهم له، وإشاعة فكرة عامة عنه أنه إنسان كذّاب لا يلتزم بعهوده، مما يؤدّي إلى عدم احترامه، وحرمانه من أي معونة أخرى.

والمشكلة أن بعض الناس يعتقد أن التهرّب من أداء الحقوق المالية ليس له علاقة بتصرفاته الشخصية الأخرى، ولكن في الواقع أن من يُجرَّب في معاملة من معاملات الحياة ويسقط

فيها، هي كافية في كثير من الأحيان في تكوين صورة سلبية عنه. ولهذا، في مثل هذه المواقف يتميّز صاحب الحياء والكرامة عن غيره ممن لا غيرة له ولا حياء، وكما جاء في حديث مشهور توارثه جميعُ الأنبياء (على نبينا وعليهم الصلوات والسلام): «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1]. فالذي لا يعنيه الإستحياء من المعصية، ومن تعريض سمعته للإهانة، فإنَّه بالتأكيد سيفعل كلَّ المخالفات الشرعيَّة والقانونية وذلك لأجل إشباع شهواته، وقد يرى نفسه أنه حاذق وماهر في سرقة أموال الناس. لكن الحقيقة تقول شيئا آخر لمن لا يستحي من فعل القبائح: إنك خدعت نفسك، وسقطت من مواضع الإحترام والتقدير في الدنيا والآخرة.

والشيء القبيح في مثل هذه التصرفات أن بعض الناس يكون قادراً على تسديد ما في ذمته من الديون دفعة واحدة إلا أنّه يقوم بتسديده بطريقة مذلّة لصاحب المال، أو يؤخّر ذلك لشدة تعلّقه بالمال. وهذا يذكرنا بالحديث الذي تحدث عن عبادة الدرهم والدينار، إذ شبّه النبيﷺ هذه الحالة بعجل السامري الذي صنعه الأخير ليعبده من ضلّ من بني إسرائيل، قالﷺ: «**لكلّ أمّةٍ عِجْل وعِجْلُ هذه الأمة الدينار والدرهم**»[2].

أجل، هناك مَن يتعلَّق بماله وأموال الآخرين إلى حدِّ العبادة

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ١/ ٧١٨.
(٢) المصدر السابق: ٤/ ٢٩٨٣.

الصنميـة، فـلا يقـدر عندئـذٍ أن يعيدَ الحقـوق إلـى أصحابها، بل يعبدها كما عبد السـامري وأتباعُه العجل. لذا ينبغي على المؤمن أن ينتبـه إلى أهـمِّ الحقوق: **حقُّ الله، وحقُّ النفـس، وحقُّ الناس،** فأمـا الحقـان الأوّلان فقـد يغفر اللـه تعالى لمن يقصـر فيهما إلا الشـرك باللـه، وأما حـقّ الناس فلا يغفـره إلا أصحابـه، فعن أمير المؤمنيـن عليه السلام أنـه قـال: «... **ألا وإن الظلم ثلاثـة: فظلم لا يغفر وظلـم لا يترك وظلـم مغفور لا يطلـب، فأما الظلم الـذي لا يُغْفَر فالشـرك بالله قـال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشـرك به)، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسـه عند بعض الهنّات، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا**»[1].

ومـن خطبـة له عليه السلام في الكوفة قـال: «**أيها النـاس إن الذنوب ثلاثة - إلى أن قال: - فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه، قال: يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا؟، قال: نعم، أمَّـا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين، وأمّا الذنب الذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض، إنَّ الله (تبارك وتعالى) إذا برز لخلقه أقسـم قسـماً على نفسـه، فقال: وعزّتي و جلالي لا يجوزني ظلم ظالـم، ولـو كَف بكَف، ولو مَسْـحةٌ بكف، ولو نطحةٌ ما بيـن القرناء إلى الجماء(الشـاة التي لا قرن لها)، فيقتـصّ للعباد بعضهم من بعض حتـى لا تبقى لأحد علـى أحد مظلمة، ثم يبعثهم للحسـاب، وأما**

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: مصدر سابق، ٥/ ٣٢٦.

الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه، فَنحنُ له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العذاب»[1]. ولذلك فليبادر كل واحد منا إلى تسديد ما عليه من الديون للآخرين دون تلكؤ أو تباطؤ، مع الحذر الشديد من الإرتطام والوقوع في الفوائد الربوية المحرَّمة، لأنها تفسد التجارات وتمنع المعروف بين الناس.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت

(١) الكافي: مصدر سابق،٢ / ٤٤٣.



عادة الإستعارة ومشاكلها



مـن العـادات الرائجة بين النـاس أنهـم يتبادلـون بعض المنافع والخدمات عن طريق اسـتعارة الأشـياء، كالآلات والأدوات، وأثـاث البيـوت، والثيـاب، ووسـائل الحيـاة المختلفة، وقد تختلف هذه العادة من عُرْفٍ إلى آخر، ولا إشـكال فـي جوازها من الناحيـة العرفية فضلا عن الدينيّـة طالما أنها عادة يتبـادل النـاس من خلالها أعمال البر والخيـر، ومع أنها طريقة من طرق الحيـاة، وتصرف من التصرفات المباحـة عند الناس، لكنها قد تتعارض أحيانا مع عزة النفس واسـتغنائها عن الناس، لأنه كما ورد عـن المنبع الصافي، عن الرسـولﷺ: **«عزُّ المؤمن اسـتغناؤه عـن الناس»**[1] فنـرى البعض في حياتنا اليومية تصل به الإسـتعارة

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث٤، / ٣٧٠٥.

إلـى حدّ أنه يحوّل بيت جاره - على سـبيل المثال - إلى مؤسسـة خيريَّـة، فكل ما يريده ويحتاجه يأخذه من أقرب الجيران إليه، وقد تصل أحيانا إلى درجة الوقاحة.

ومـا ينبغـي قوله هنا: ينبغي الاعتدال في اسـتعارة الأشـياء من النـاس، والإلتجـاء إليهـا عند الحاجة الماسـة لذلـك، وفق الحدّ المقبول، لأن خيرَ الأمور أوسُطها، لكن ومع الأسـف الشديد أن بعض الناس ولشدة بخلهم وحرصهم على أموالهم تراهم يهينون نفوسهم ولا يهينون أموالهم، فيستعيرون الأشياء وهم بالغنى عن ذلك اعتقاداً منهم أنهم يوفّرون أموالهم.

إن هـذه الطريقة الغير معتدلة تتعارض مع أخلاقيات الإنسـان المؤمن، لأن الإنسـان الخلوق لا يُشـعِرُ الآخرين أنه عالة عليهم، وإن كان لا بدَّ من الإستعارة فلا يلتجأ إليها إلا في حالات ضرورية، وإنني في غاية التعجُّب من بعض الناس الذين يستعيرون شيئاً من أثاث بيوت جيرانهم ليظهروا أمام الآخرين أنهم على حالة حسنة، فلماذا هذا التكلّف؟! ولماذا هذه الشكليات الكاذبة التي لا يجني منهـا الإنسـان إلا الخـداع؟ والأصعب مـن ذلك أنَّـك أحيانا قد تُعير كتاباً لشـخص ما، وبعد أشهر تجده متنقلاً من بيت إلى آخر، ومـن يدٍ إلى آخـرى، دون معرفتك بذلك. أو أنـك أحياناً قد تُعيرُ صديقك سيارتك لينتقل بها من مكان إلى آخر، فتراه يتعامل معها وكأنها أصبحت ملكاً له، فلا يراعي عدم جواز استعمالها أكثر من الحدّ الذي اتفق عليه، إلا إذا أحرز ضمناً رضا المالك.

إنَّ أيَّ تصرّف بأموال الناس دون إذنهم يعتبر تصرفاً غير مسموح به من الناحية الشرعية والأخلاقية.

وعلى المستعير لممتلكات الناس أن يحفظها ويعيدَها لأصحابها وفقا للمهلة المتفق عليها، ولكن المعاين في الوقائع أن الكثير منهم يُسوّفون في إرجاع الحقوق إلى أهلها، وقد يموت الإنسان وتبقى في ذمته حقوق للآخرين، وتكون وبالاً عليه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾[1]. وعن رسول الله ﷺ: **«من يمطل - من المماطلة - على ذي حقٍّ حقَّه وهو يقدر على أداء حقِّه فعليه كل يوم خطيئة عشار»**[2].

فلنتّقِ الله في معاملاتنا وخلقياتنا الإجتماعية، ولنجعل ميزاناً لأعمالنا نوزن من خلاله ما لنا، وما علينا، وإلا فإن المُهْمِل لرد حقوق الناس لا يحصد إلا الحسرة والندم.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

عِزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس

---

(١) البقرة: ٢٨٣.

(٢) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ٢/ ٩٥٩.



كيف نعرف الناس



عندما يبني الإنسان علاقة إجتماعية جديدة مع بعض الناس، ويختار صديقا أو شريكاً له سواء أكان ذلك في العمل، أم رفيقاً في السفر، فإنَّ أول ما يشجعه على مصاحبة الآخرين انجذابه إلى علاماتهم الظاهرية، أي الإنجذاب إلى شكلهم، أو هندامهم، أو كلامهم المعسول، أو ما يُحكى عنهم على ألسنة الناس، أو غير ذلك. فمرّة يُصيبُ في تخمينه واعتقاده، فيسْعَد باختيار الصحبة، ومرّة يخطئ في الإختيار، فيندم على المصاحبة التي اختارها. فإذاً، ما هي العلامات الصحيحة التي يستدلُّ بها على استقامة الآخرين أو يعرف بها انحرافهم وخداع ظاهرهم؟.

إنَّ العلامات التي يتفق عليها الناس في تحديد طبيعة الإنسان الخيّرة أو الشرّيرة قد تصيب أحياناً، وقد تخطئ، وهي دائماً مثار

جـدل في كونها مؤشِّـراً صحيحاً على صلاح الناس أو فسـادهم، لأن هنـاك من يقول: لا تبهركم المظاهر البرَّاقة فليس كل ما يلمعُ ذهباً، وثمّة مَن يقول: يكفينا أن نرتاح لشـكله ومظهره الخارجي، وصحيح أنّ بعضَ المظاهر والشكليّات الخارجية قد تساعد على إعطـاء طابع أوّلي عنـد الناس، إلّا أنه من الضروري جدّاً أن نفرّق بيـن نظرة العرف، وبين نظرة الدين إلـى العلامات والفوارق التي تصنف الناس وتعطيها صفاتها الواقعية.

أمـا في الأعـراف الإجتماعية فقـد تتعدّد وتختلف تبعـاً لثقافة النـاس وتقاليدهـا، ففي العصـر الجاهلي مثلاً كان الغزو وسـرقة أمـوال الضعفاء علامةً على شـجاعة الرجل، وكانت السـرقة تعدّ فضيلـة من الفضائـل. وعند بعـض المجتمعات الفاسـدة يعدُّون دخول الإنسـان إلى الأماكن اللهويّة التي تستباح فيها المحرمات نوعاً من أنواع الشـجاعة والإنفتاح على الآخر، لأنه يعبّر فيها عن ذاته بحريّة غير منضبطة! أيضاً، وعلى سبيل المثال هناك من يعتبر أن الإنسـان الفاضـل هـو من يملك المـال الكثير حتى لـو عُرِفَ بخصال سـيّئة!، وترى البعض الآخر ينجذب وينشدّ إلى شخص ظهرت عليه علامات الزهدِ والعزوف عن الدنيا، وهذا من وجهة نظر العرف والتقاليد.

وأمّـا إذا نظرنا إلى وجهة نظـر الدين في تقييمه للناس فنلاحظ أنـه لم يأخـذ بالمظاهر والشـكليَّات إلا في حـدود معيّنة وهي أنّ الإستقامة الباطنية النفسية لا بدّ أن تَظهرَ آثارُها على ظاهر الإنسان

كقلّـة الـكلام، وغضّ النظر عما حـرَّم الله تعالى، وآثار السـجود فـي جبهته وغيـر ذلك، فهذه العلامـات تفتح الباب أمام السـؤال عـن مدى انطباقها على تلك الإستقامة، بمعنى أنهـا قد تعبّر هذه العلامات الخارجية عن أمور أساسـيَّة أرادها الدين الإسلامي من الإنسان، وعنوانها الكبير هو الإستقامة العملية لا الشكليَّة. وبعبارة أخرى أراد الدين أنْ يكون هناك تكامل بين الظاهر والباطن، لا أنْ يكـون الظاهر وحدَه المعيار في تمييز الإنسـان الصالح عن غيره. والذي يكشـف هذه الحقيقة بدقـة متناهية ما ورد عن الأئمة عليهم السلام في معرفة العلامات التي تميّز الناس عن بعضهم البعض.

فعـن الإمام الصادق عليه السلام أنـه قال: «**لا تغتـرُّوا بكثرة صلاتهم ولا بصيامهـم فإنَّ الرجلَ ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**»[1]. وفـي حديـث آخر قـال الإمـام علـي عليه السلام: «**لا تنظروا إلـى كثرة صلاتهـم وصومهـم وكثرة الحـج والمعروف وطنطنتهـم بالليل، انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة**»[2].

في هاتين الروايتين الشريفتين يتضح أنَّ الإمام عليه السلام لا يريد من الناس أن يكتفوا بالتعرّف على الناس من خلال صلاتهم وعبادتهم المفروضـة عليهم، إنما يريـد اختبارهم بالخصـال الحميدة التي تؤثّـر على تربية النفس الإنسـانية كأداء الأمانة، وصدق الحديث.

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٩/ ٦٧.
(٢) المصدر السابق: ١٩/ ٦٩.

وهـذا يؤكّد على أن القيام بالأعمال العبادية شـيء، وما ينتج عنها من آثار تربوية وأخلاقية شيء آخر، فهنيئاً لمن صلى وصام ونهى النفس عن الهوى، وتحلى بالتقوى.

من هذا المنطلق، على الإنسان أن يكون واقعيّاً عند تعرّفه على الناس، ولا يبالغ في توصيفهم بالحُسُـن أو السوء إلا بعد التعرّف عليهم من الجوانب كلّها الباطنية والظاهرية، وفي حالات السرّاء والضـرّاء، وعليه أن لا يكـون مثالياً، بأن ينظر إلـى الآخرين نظرة مثاليـة ملائكيّـة، فـإن ذلك فيه متعبـة كبيرة لا تنقضـي. ومن قول الإمـام علي عليه السلام يعرف هذا المعنى، قـال عليه السلام: «**أحبب حبيبك هونـاً ما عسـى أن يكون يكون بغيضك يوما مـا، وأبغض بغيضك هونـاً ما عسـى أن يكون حبيبـك يوماً مـا**»[1]. فإيانـا والمبالغات والتسرّع بالحكم على الإنسان مدحاً أم ذمّاً!.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

اختبروا الناس عند صدق الحديث وأداء الأمانة

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجوردي، ط: منشورات مدينة العلم، قم، ١٦/ ٢١.



الأمانة علامة لمعرفة صلاح الناس



كنا قد أشـرنا سابقا إلـى العلامـات التـي يبنـي الإنسـان علـى أساسـها صدقاتـه مـع الآخريـن، ويسـتطيع من خلالهـا أن يصنف أخلاقيـات الإنسـان إن كانت حسـنة أم قبيحة، ومن أبرز هـذه العلامات علامتان: **صدق الحديـث وأداء الأمانة**. فعن أبي عبد اللـه الصادق عليه السلام قال: «**لا تغتـروا بكثرة صلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصـوم حتى لو تركـه استوحش، ولكن اختبروهـم عند صدق الحديـث وأداء الأمانـة**»[1]. وقبل الحديث عـن هاتين الخصلتين ينبغـي التذكيـر بأمر يريح النـاس في علاقاتهـم الإجتماعية، وهو

(١) الوسائل: مصدر سابق، ١٩/ ٦٧.

أنه عندما تقع مشكلة بين شخص وآخر يقوم أحد الطرفين باتهام الآخر في خلُقِه ودِينه، ويتبادلان الإتهامات مثل قول أحدهم للآخر: فلان يدّعي أنَّه حاج وقد فعل بي كذا وكذا، أو مثل قوله: إنّه يصلي ويصوم ولم يلتزم بمواعيده، وأمثال هذه الإتهامات التي توجه إلى المتدينين عادة.

ولكن **الخطأ الأول** في هذا التقويم أنَّ كثيراً من الناس لا يفرّقون بين الدّين والتديّن، لأن عدم قدرة الإنسان على تطبيق القوانين والأحكام الشرعية لا يعني نقصاً في الدين الإلهي المنزّه عن الإجحاف والظلم، وإنما هو في الحقيقة نقص في تدين الإنسان، بمعنى أن الذي صدر منه خطأ ما لم يكتمل إيمانه ودينه. وبناءً عليه ينبغي علينا تغيير هذا التعبير الشائع، والصحيح أنْ نصنف الناس على أساس الخلقيات الحسنة أو السيئة، يعني على تدينهم، وليس على أساس الدّين الحق.

والخطأ الثاني مَنْ قال: إنَّ مَن يصلي ويصوم ويحج لا يقع منه خطأ، فهذا غير صحيح، والصواب أنَّ كلَّ مَنْ هو دون المعصومين كالأنبياء والأوصياء عنده قابلية صدور الخطأ منه، وبالتالي لا بدّ من التفريق بين الدّين والأخلاق، وهذه الهفوات واللّمات التي تقع من الإنسان لا تؤثر على أعماله العبادية، ولا تؤدّي إلى بطلان حجّة، مثلا، كما يقول الناس!، وذلك لأن صحة الأعمال العبادية لا تتوقف إلّا على مقدماتها وشرائطها الشرعية، فإذا صدر من الإنسان فعل مناف للأخلاق الإسلامية فإن ذلك لا يعني أن أعماله العبادية غير مقبولة، وهذا ما يجب أن نلتفت إليه،

أن نفـرّق بين صحة الأعمـال وقبولها من الناحية الشـرعية، وبين التصرفات الأخلاقية السـيئة التي ينفر منها الطبع المسـتقيم، وإن كان الدين يعمل على تصحيح أخلاق المتدين.

ولـذا، فإن الأزمة التي نعاني منها اليوم هي عدمُ الإسـتفادة من تعاليم الدين التي تقوّي المسـلك الأخلاقي عند الإنسان، وتوجه عدد كبير من المتدينين الذين يلتزمون بالفرائض الدينية إلى فصل الأعمال العبادية عن أخلاق الشـارع مثلاً، وحسـن قيادة السيارة، ومخالفة إشـارات السـير، وقطع الأشـجار، ورمـي القمامة على الطرقـات، ونفخ أبواق المزاميـر، وإزعاج الناس، وإلى ما هنالك من هذه التجاوزات الفوضوية.

ومن هنا، يتوجّب على كل إنسان مؤمن مسؤوليات كبيرة تجاه دينه ونفسه.

فمسـؤوليته تجاه دينه فهي أنْ لا ينسب إلى الدين أخطاءه، ولا يجعل أحكام الشريعة مطيّة لشهواته وأنانياته.

وأما مسـؤوليته تجاه نفسه فعليه أنْ لا يظلمها ويجعل انتماءها الفكري إلى أهل النار والشقاء.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

الأمانة تَجرُّ الرزق

والخيانة تَجرُّ الفقر



الأمانات المادية والمعنوية



إن من أهم الخصال الأخلاقية الإجتماعية التي تكشف عن مدى خوف الإنسان من الله تعالى، وقدر احترامه لنفسه، وإعزازها، هو حفظ أمانات الناس وودائعهم، وعندما نتحدث عن الأمانات لا نعني الأمانات المادية فحسب، بل نقصد المعنوية منها أيضاً، وهي لا تقلّ أهمية عن الأمانات المادية.

وهنا، نستذكر ما قالته قريش بحقٍّ رسول الله ﷺ حينما وصفته بـ «**الصادق الأمين**»، وهو قول من أكمل الأقوال وأبلَغِها، لأنه لو

كان عندهـم حديث أبلغ منه لأنبأت بـه فصاحة العرب وبلاغتها، وهذا يعني أن هاتين الصفتين تجمعان كمال الإنسـان وتختصران شخصيته الإنسانية، وما أعظم أن يكون الإنسان أمين قومه وحافظَ ودائعهم. ولا شك ولا ريب أنَّ هذا الإئتمان كان مقدمة لأن يكون رسول الله ﷺ أميناً على الوحي والمسلمين وأعراضهم ودمائهم وأموالهم.

علـى ضـوء هـذه المبـادئ الإجتماعيـة والأخلاقيـة يتعـرّضُ الكثيـرُ منا، أفراداً وجماعاتٍ ومؤسسـاتٍ إلى حفظ ودائع الناس وأماناتهم، فبعضهم مثلاً يضع أمواله في المؤسّسـات المصرفية، وبعضهـم يضـع أشـياءه الثمينة عند أوثـق الناس لديـه، وبعضهم يترك أشياء معطّلة عند من يُصلِحُها كإصلاح السيارات والأدوات الكهربائيـة، ومنهـم من يضـع مسـاعداتٍ خيرية عند مـن يُؤتمن عليهـا كي يوصلها إلى أهلها، والأمثلة علـى ذلك كثيرة إلى ما لا نهايـة، والمهـم أن ننتبه إلـى أنَّ أعظم اختبار لنا هـو حفظ أمانات الناس وإرجاعها إلى أصحابها عند طلبها، وقد يكون من الواضح أنَّ مَنْ يضع أمانة مالية عند من يثق به، أن يعيدها إليه دون زيادة أو نقصان، مع ضمانها في حال التفريط بها.

وأما عندما يضع الإنسـان عند أهل الاختصاص شيئاً لإصلاحه فتـرى بعضهم يفسـد ولا يصلـح، ويتعدّى علـى اختصاص غيره، دون مراقـب ووازع يردعه عـن أخطائه، وهناك مـن يُؤتَى إليه بآلة كهربائيـة مثـلاً، أو سـيارة معطلـة، أو حاسـوب لإصلاحـه، فبدل

أن يحفظ هذه الأمانة فيقوم - البعض - إما بسرقة قطعة منها، أو بتخريبها، وحينما يأتي صاحبها فيكذب عليه، ويقول له: إن القطعة الفلانية متلفة ولا بد من تغييرها، ثم بعد ذلك يكذب عليه مرة أخرى حينما يقول للذي وقع في مصيدته: إنني اشتريت لك القطعة بثمن باهظ، وهو بالتأكيد يدّعي شراءها بذلك الثمن، وفي الواقع لم يشترِ ولم يفعل شيئا، وإنما كل ما في الأمر أنَّ هذه القطعة قد تكون موجودة عنده في مكان عمله من سرقة سابقة محتسَبة لمثل هذه الحالات المعروفة عند البعض «**بالشطارة**».

وفي حالة أخرى أحياناً، قد يذهب الواحد منا إلى بعض مصلّحي السيارات ويكون العطل بحاجة إلى دقائق معدودة لإصلاح السيارة، فيقوم المصلّح بإيهامنا أن السيارة تحتاج إلى نهار بكامله، وكل ذلك من أجل سرقة الأموال بغير حق، ومثل هؤلاء المصلّحين والمعالجين يعتقدون أن الناس لا تعرف ألاعيبهم، وإنما في كثير من الأحيان لا يقابلون الخيانة بالخيانة.

وكذلك الأمر فيما يتعلّق بوضع الأمانات عند الأشخاص أو البنوك المالية فيفترض إرجاعها إلى أصحابها كما هي عند طلبها، مع ملاحظة القوانين المعمول بها في تلك المصارف، وكم هي الحكايات كثيرة لا تعدّ ولا تُحصى بحقّ من تسوّل له نفسه سرقة أمانات الناس، وخصوصاً الأمانات الشرعية كالصدقات وأموال الفقراء واليتامى وغيرها.

من هنا، على الإنسان أن يعلم أنَّ الأمانات ليست ملكاً له،

وإنما هي ملك لأصحابها، وكل واحد يقصّر أو يهرُبُ من أداء ما عليه تجاه الناس، فهي من الحقوق التي لا تغتفر إلا برضا أصحابها، وما أعظم ما قاله الإمام زين العابدين: «**عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبيّاً لو أنَّ قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه**»[1]. فليتق الله من يؤمن بالله واليوم الآخر، وليَعُدْ إلى رشده كلُّ من أسرف وأجرم والله غفور رحيم.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

مَنْ لا أمانة له
لا إيمان له

(١) الوسائل، الحر العاملي، ط: آل البيت عليهم السلام، ١٩/ ٧٦.



الأمانة المعنوية



كنا قد تحدثنا سابقاً عن القسم الأول من العلامات التي يعرف بها المؤمن، وهي علامة الأمانة وتأديتها إلى أهلها، وقد تحدثنا عن الأمانة من الناحية الماديّة، وأما هنا فسنتحدث عن الأمانة من الناحية المعنوية.

قد يعتقد بعض الناس حينما يسمع بتأدية الأمانة أن معناها منحصرٌ بالجانب المادي، أو بشكل خاص بالأمانات المادية، ولكن الدِّينَ توسّعَ في ذلك، وجعل قسماً آخر للأمانات وهو الجانب المعنوي، لأن ما يحفظ كرامات الناس وأسرارهم ونفوسهم، لا يقلُّ أهمية عن أموالهم وبيوتهم. ولذلك لو جُلْنَا النظرَ في كافة الجوانب الحياتية لوجدنا أشياء كثيرة تحتاج إلى الحفظ من الضياع، فالمريض الذي يضع نفسه بين يدي الطبيب

هـو أمانـة إنسـانية ومعنوية عنده، ومـن يدخل إلى المستشـفيات بداعي الإستشـفاء هو أمانـة عند مديريها أيضـاً، وكذلك الطالب الذي يذهب إلى المدرسـة أو الجامعة أو الحوزة العلمية ليتعلّم، ويتثقّـف، ويتفقّـه فـي الديـن، هـو أمانـة بيـد الأسـتاذ والمربـيّ والمعلّـم، وهي أخطر أمانة على وجه الأرض، لأنَّ المربي يصنع عقلَ الإنسـان ويوجّهه إلى طريق الهـدى أو الضلال. فعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**هلك من ليس له حكيم يرشده، وذلّ من ليس له سفيه يعضده**»[1].

وكذلـك الأمر فإنَّ مَنْ يثـق بالآخرين ويؤمّنهـم على كلامه لا يجـوز لهـم أن يبوحوا به، لأن الـكلام إذا خرج عـن موضعه فقد يؤدي أحياناً إلى فتنة شـديدة وعظيمة، وكل ذلك بسـبب التفريط بمثل هذه الأمانات. بـل الملاحظ في بعض الروايات أنها ذهبت إلـى أبعـد من ذلك، كمثل من غسّـل ميّتـاً مؤْمِناً وهـو يريد بذلك غفـران اللـه تعالـى له، فعليـه أن يـؤدّي الأمانة، وقد سـئل الإمام الصـادق عليه السلام عـن كيفية تأدية مثـل هذه الأمانـة قال: بأن لا يخبر أحداً عما رآه من عيوب الميت وجراحه وتشوهات جسده.

ونص الرواية قال عليه السلام: «من غسّلَ ميّتاً مؤْمِناً فأدّى فيه الأمانة غفـرَ اللّه له، قيل وكيف يؤدّي فيه الأمانة؟ قال: لا يُخبر بما يرى، إلى أن يدفن الميّت»[2].

---

(١) ميزان الحكمة:، مصدر سابق، ٢/ ٩٨٣.

(٢) الوسائل، مصدر سابق، ٢ / ٤٩٦.

وقد يعتقد بعض الناس أن الأمانة لا تؤدّى إلا لأهل البرّ والخير، ولكن الأخلاق الإسلامية أمرتنا بتأدية الأمانة إلى البار والفاجر فيما جلّ وقل، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام قولهم: **«أدّوا الأمانة وَلَو إلى قاتل وُلْدِ الأنبياء»**[١].

إن الخيانة وعدم الوفاء بحقوق الناس هي التي قصَمت ظهورنا وأبعدتنا عن الخُلق القويم، فكم هي المجالس الإجتماعية التي تتحوّل إلى مصانع من الفضائح وخيانة الأمانات، وقد أوصانا النبي صلى الله عليه وآله بقوله: **«المجالس بالأمانة، وليس لأحد أن يحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلّا بإذنه إلّا أن يكون ثقةً أو ذكْراً له بخير»**[٢]. وقال صلى الله عليه وآله: **«يا أبا ذر المجالس بالأمانة وإفشاؤك سرّ أخيك خيانة»**[٣].

ومن الخيانات الكبيرة أيضاً أن يقوم طبيب ضعيف الخبرة بمعالجة مريض ما، وهو يعلم أنه غير قادر على معالجته. والواجب عليه عند ذلك، أن يرجعه إلى من هو أعلم منه، أو أعرف منه. ومن المفترض ألا يخشى على نفسه الفقر، أو التقليل من حقّه المعنوي، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٤].

ولا بدَّ هنا من التذكير بأمر في غاية الأهمية، أنَّ ما يحصل في بعض

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٩/ ٧٣.
(٢) المصدر السابق: ١٢/ ١٠٤.
(٣) المصدر السابق: ١٢/ ٣٠٧.
(٤) الطلاق: ٣.

المستشفيات من تضييع لصحّة الإنسان هي خيانة مهنية تحوّل المريض إلى سلعة مادية لا قيمة إنسانية لها، والمهم عند أولئك تحصيل الفائدة المادية من المريض، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]. فإلى متى سيبقى المريض فريسة المفترسين الجهلة؟

على ضوء هذه الحقائق هناك الكثير من الذين يعتقدون أنهم أمناء على أرواح الناس وهم خائنون من الدرجة الأولى، وقد يلتفتون إلى ذلك، أو لا يلتفتون، ولا يوجد حل لمثل هذه المشاكل الإنسانية والإجتماعية إلّا أن نعود إلى ديننا وأخلاقنا وكتابنا المقدّس القرآن الكريم، وأن نهذّب أنفسنا ونربّيها على الخوف من الله تعالى، لأن رأس الطاعة الخوف من اللّه.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

المجالس بالأمانة
وإفشاؤك سرّ أخيك خيانة

(١) المائدة: ٣٢.



احترام المواعيد



كثيـرة هـي الأشـياء التـي نحـرص عليهـا ونبالـغ فـي التمسـك بهـا، وقـد يصـل الأمـر عنـد بعض النـاس إلى شـبه عبادتهـا وتقديمها على قيـم الحيـاة الإنسـانية كلّهـا، وذلك مثل الحرص على كنز المال والجواهر الثمينة والتعلّق بها، ولكن هناك شـيء أعظم من تلـك النفائـس التي يكتنزهـا الناس، ولا يبالغون فـي حفظها، هو نعمـة الوقـت والزمان الذي يصنـع آمال النـاس وأحلامهم. ومع إقرارنـا بأهمية الوقـت وقيمة الزمن في هذه الحيـاة الدنيا، فالذي نلاحظه ونعيشـه في أيامنـا أن قيمة الوقت ليسـت كقيمة الأموال والمقتنيـات الثمينة، بل ما نراه أن الفوضى والعبث بالوقت وعدم تنظيـم مناسـباتنا، وارتباطاتنـا الإجتماعية هو الأمر الشـائع، ولو

سأل أحدُنا عن أبرز الأمثلة على الإستهتار بالوقت لأجبنا جميعاً جواباً واحداً: هو قلّة احترام المواعيد الشخصيّة، إجتماعية كانت أو مهنية.

والظاهر أن الذي ساهم في هدر الأوقات هو التقاليد الإجتماعية السيِّئة التي كرّست نمطاً فوضويّاً في العلاقات الإجتماعية المختلفة، ولو حاولنا مقاربة الواقع الإجتماعي عن قرب للاحظنا العديد من الأمثلة التي تشهد على تحوّل الفوضى إلى نظام إجتماعي غير مستهجن عند الناس، ففي الزيارات الإجتماعية مثلاً نرى مخالفة المواعيد أمراً شائعاً، ولو قام بعض الأشخاص بزيارة صديق له وفقاً لموعد محدّد مسبقاً نلاحظ أنه لا يلتزم بالموعد المحدّد، ويستهتر بأوقات غيره، مع عدم إعلامه عن تأخر الزيارة عن موعدها، وإن قرَّر القيام بالزيارة فإنه يأتي إلى بيت صديقه ليضيف على الوقت الضائع وقتاً آخر، مع عدم مراعاة أوقاتِ الناس والأصدقاء وارتباطاتهم الأخرى، ولو قام الصديق بمصارحة ضيفه بضيق الوقت والإنشغال بأمور خاصة، تراه لا يقبل ولا يرضى بكونه المسبّب لفوات الوقت، وهذا ناهيك عن الإطالة في الجلوس وحبِّ الثرثرة وفضول الكلام.

وفي مثال آخر، نلاحظ أن بعض المرضى إذا أراد زيارة طبيب فمن المتعارف عليه أن يطلب موعداً، وعندما يتعذّر عليه الإلتزام بالموعد المحدّد له فمن المفترض أنْ يتصلَ ويعتذر، ولكن الطريقة المعمول بها ليس لها أي علاقة بهذه الأخلاقيات، وإنما

نـراه يهمـل موعده وينسـى مسـؤوليته الشـرعيّة والأخلاقية تجاه التزاماته. وثمّة أخلاق أخرى ليست بعيدة عن المثالين السابقين، وهي مواعيد الحرفيين والمتعهدين لإصلاح أثاث البيوت والبِنى التحتيّـة، والمعـدّات الكهربائيـة، أو مواعيـد الصناعييـن الذيـن يقومون يتجهيز البيوت والمؤسّسـات، فالعديد منهم لا يقيم وزناً لأوقات الناس، ومن النادر أن يلتزموا بمواعيدهم التي يحدّدونها لأصحـاب البيـوت، فلو حصل خلل في كهربـاء البيت، أو قنواته الصحيّـة، أو أثاثه، فمن المسـتحيل أن يصل المعالـج والمصلّح إلـى مـكان العطل علـى موعده المحـدّد، وعلى حـد تعبير بعض الساخرين من كذبهم ومخالفتهم للمواعيد أنه إذا أردت أن يأتيك المصلـح في الموعد المحدّد فعليك «أن تنذر نذراً» حتى تحصل على مرادك. وبسبب هذه المخالفات المتكرّرة أصبح الأصل عند النـاس عند نظرتهم إلى الكثير مـن مصلّحي أثاث البيوت ولوازم الحياة ووسـائلها هو عدم الثقة بهـم وتصديقهم، وعلى حد تعبير الإمـام علـي عليه السلام **«من وضع نفسـه موضع التهمة فـلا يلومن من أساء به الظن»**[1].

وأمَّا على مستوى مواعيد المناسبات الإجتماعية العامة فحدّثوا ولا حـرج، فنحـن في مجتمع أضحـت مخالفـة المواعيد وتضييع أوقـات الناس أمراً طبيعياً، وقد أصبحنا نألف ذلك، فإذا كان موعد

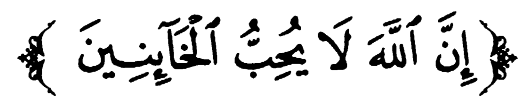
---

(١) خصائص الأئمة، الشريف الرضي، ط: مجمع البحوث الإسلامية - الآستانة الرضوية المقدسة مشهد،إيران، ص ١٠٨.

المناسبة عند الساعة الثانية مثلاً فهو في عرفنا عند الساعة الثالثة، وإذا كان وقت خطبة العروس عند الساعة السادسة مثلاً فهو عند الساعة السابعة وما فوق!!، فلماذا هذه الفوضى في المواعيد الإجتماعية والمهنية. إنها طريق نحو القضاء على الثقة المتبادلة بين الناس، فلا أهل السماء يرضون بذلك ولا أهل الأرض يستطيعون العيش مع قليلي الوفاء بعهودهم. وللحدّيث تتمة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم:
إذا أُتُمن خان، وإذا حدّثَ كذب،
وإذا وعَدَ أخلف.
قال الله عزّ وجلّ في كتابه المجيد:


﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾



الفوضى في العلاقات الإجتماعية



إستكمالا لما ذكرنا سوف نتكلّم في هذه النصيحة على أسباب تلك الفوضى في العلاقات الإجتماعية، من المعلوم أنّ الإنسان يتأثّر ببيئته الإجتماعية التي يعيش فيها كتأثّره بعوامل الوراثة والعلم، وتعتبر البيئة التي يتربّى فيها المرء مصدراً من مصادر المعرفة والثقافة بصحيحها وسقيمها. وفي كلّ بيئة إجتماعية يطغى عليها تقاليد وعادات تميّزها عن غيرها، سواء كانت ممدوحة أو مذمومة، ومن ضمن تلك التقاليد التي يتأثّر بها الإنسان هي تربيته على احترام النظام العام، أو العبث به وعدم احترامه له، ومن الأشياء الملاحظة في مجتمعاتنا أن الإنسان يُرَبَّى على عدم الإعتداد بقيمة الوقت بل ينمو على إحلال الفوضى في المواعيد، وكأنَّ العرف يعتاد على تبادل العلاقات بطريقة غير منظّمة مع ملاحظة الخسائر المادية والمعنوية

التـي تترتب على تلـك الفوضى. ومضافاً إلـى دور البيئة في تعميم الفوضـى، هنـاك سـبب آخر يسـاهم في تكريسـها، وهـو أن الكثير مـن الناس لا يلتفتـون إلى التعاليـم الأخلاقية التي نـادى بها الدين الإسـلامي، حيث يفصلون بين العبادات المتوجّبة على كل شخص وبيـن الأخلاقيات العامة، وقـد حذرنا المولى سـبحانه وتعالى من أقبـح خصلتين في الإنسـان: الكـذب ومخالفة الوعـد والمواعيد، ولهذا كان الخطاب القرآني في غاية الوضوح، حينما قال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾[1].

وعليه، فإن الوعد بحسـب القرآن الكريم والروايات الشريفة هو دَينٌ بذمة الواعد، أو كما عُبِّر عنه أيضا في الروايات والأحاديث هو عطيـة ونذر، أي أنه بمنزلة العطية والنذر. ولذلك عدَّ مخالفة الوعد مـن علامات المنافقين، فالمنافق إذا حدَّث كذَّب وإذا وعد أخلف، وإذا أُتمـن خـان، ولشـدّة أهميّة الوعـد والصدق به ذكـر الله تعالى نبيه إسـماعيل في القرآن الكريم واصفـاً إيَّاه بصادق الوعد، كما في قولـه عزّ وجلّ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[2]. **وقد سـأل الإمام الرضـا عليه السلام أحد أصحابه «أتدري لِمَ سُـمِيَ إسـماعيل صادق الوعد؟ قال: لا أدري، قـال: وعد رجلا فجلس له حولاً ينتظره»**[3]. أي جلس عليه السلام عاماً ينتظر ذلك الرجل.

---

(١) الصف: ٢ و ٣.

(٢) مريم: ٥٤.

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ط: التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٠/ ٣٧٦.

من هنا، علينا أن نلتفت من أول الأمر إلى حرمة إعطاء الوعود مع علمنا المسبق بعدم قدرتنا على الإيفاء بها، وأما إذا أعطى الإنسان موعداً وكان من نيّته أن يفي به ولم يوفق لذلك فلا يعدّ بنظر الشرع عملاً محرماً، إلا أن المجتمع لا يلتفت أحيانا إلى الفرق بين هذين الأمرين، ولذلك على الإنسان أن يحرص على عدم الوقوع في مثل هذه المعضلات الإجتماعية، وأن يكون شجاعاً في أقواله مع الآخرين وصريحاً فيما يقوله للناس، ولا يَعِد أحداً بشيء إلا إذا كان واثقاً من نفسه أنه سيفعل وسيطبق ما وعد به، وكذلك على الإنسان أن يعتاد على استعمال كلمات بديلة عن القطع بالوعود، فبدل أن يقول: سأفعل، سآتي، سأدفع وغير ذلك، فإن كان غير واثق من قدرته على الوفاء بالوعد فليقل: سأحاول، سأفكر، أو أعود وأتصل بك وأخبرك بقراري النهائي. أو فليقل: لست متأكداً من سعة الوقت وغير ذلك من هذه العبارات الدالة على عدم القطع بالوعد.

وهذه الطريقة ليست بالمسألة الصعبة، إنما تحتاج إلى تدرّب وتمرّن ومتابعة شخصيّة من كلّ فرد حتى يعتاد الإنسان على قول الحق والصدق والإلتزام بالمواعيد.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

لا تَعِدَنَّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه.



أخلاقيات التجارة



يسعى الإنسان دائماً إلى رؤية الأشـياء الخارجية بوضوح تام، لأنَّ العيَـن لا تأنـس بالنظـر إلى صُـوَر غيـر واضحـة الملامـح، وكذلـك يرغب أيضـاً في معرفة الأمور علـى حقيقتها لأنّ العقل لا يرضى بالمعلومـات الكاذبة، ففي كل مجالات الحياة الإجتماعية والدينية يسـأل الإنسـان عن أصل الأشـياء عن صدقها أو كذبهـا. على هذه الطريقة جاء الدين الإلهـي ليعزّز فكـرة أن الأمور المـزوّرة والكاذبة لا تتناسـب مع استقامة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، بمعنى أن الإنسان المستقيم يكره الغـش والخداع والتزوير، وهي منقصة في الأخلاق والعلم والعمل، فالغشّـاش إنسان مكروه بين الناس لأنّه يمثّل حالة أنانية حادة في مجتمعه، فهو يكذب ويسـتعمل الوسائل الخادعة لجني

الأربـاح الطائلة دون اكتراثه بما سـيلحقه من أذية للناس، وحينما تصبـح الفوضى ثقافة حياة يكثر الأشـخاص الذيـن يلجؤون إلى الغشّ والمكر في البيع والشـراء، ليحصّلُوا مبالغ ماليّة في سـرعة قياسـية، فتـرى الغـشّ فـي عمليـات البيـع تجـارةً رائجـة، حيث يبـاع الجيـد مع الـرديء ويخلُط القديـم مع الجديـد، وفي بعض المحـلّات التجارية تعـرض البضائع بمواصفـات جيّدة، وحينما يشـتري الإنسـان منها شـيئاً يجد بيده نوعيّـة أخرى مـزوّرة، وإذا دخلـتَ إلى بعض المطاعم واطّلعت على مأكولاتها تتفاجأ هناك كيف تُخلَط الأطعمة الفاسدة بغيرها!!.

هذا، ناهيك عـن غشّ الناس ببيع اللحـوم المجلَّدة المجهولة المصـدر فتُبَـاع فـي الأسـواق على أنهـا طازجة وشـرعية!! وفي بعض الحالات يصلُ الأمر إلى إيذاء أرواح الناس ببيعهم الأدوية الفاسـدة المنتهية صلاحية استعمالها، أو المصنعة بطريقة تجارية بحتة. وقد جاء في الحديث عن رسـول اللهﷺ: «**من كان مسـلماً فـلا يمكـر ولا يخـدع، فإنّـي سـمعت جبرئيـل يقـول: إنَّ المكرَ والخديعة في النار**». ثمّ قالﷺ: « **ليس منّا من غش مسلماً، وليس منّا من خان مسلماً**»[1].

وهنـاك غـش وخـداع من نـوع آخر، وهـو أن بعـض الضعفاء من أبنـاء المجتمع يذهبـون إلى ما يُعرف بالمطلّعيـن والمعرّفين فيقعون فـي مصائدهـم وكذبهم، حيث يجعلـون الصحيح من الناس سـقيماً

(١) جامع أحاديث الشيعة: مصدر سابق، ص ٥٥٧.

وعليـلاً، ويهوِّلون عليهـم الأمور، ويخوفونهم بالأرواح الشـيطانيّة، والمـسّ، والخبَل وغير ذلك. وثمّة بعض البسـطاء السـذج يصدّقون هـذه الألاعيب ويدفعـون أموالاً باهظة لحلٍّ مشـاكلهم بهذه الطريقة الخاطئة. والعجيب من بعض الأشخاص الذي يرتادون هذه الأماكن السـوداء، والسـؤال هنـا، لمـاذا لا يسـأل النـاس عـن حقيقـة هؤلاء الغشاشـين السـرّاقين؟!. وبخاصـة أنهم مـن الجهلاء الفاشـلين في الحيـاة، وقد التجأوا إلى هـذه الطريقة من العمل لأنها تخفي عيوبهم وتجلب لهم الرزق الوفير!.

وعليه فالغشاشون كُثر والأمثلةُ على ذلك كثيرة، ولكنّ الحكم واحدٌ، والمبدأ الأخلاقي واحد لا يتغيّر وهو أنّ الغشَّ من أخلاق اللئـام، وهو في المعايير الدينيّة والأخلاقية عمل محرّم. قال ﷺ: **«مَـن غشَّ مسـلماً في شـراء أو بيع فليس منا ويحشـر يـوم القيامة مع اليهود لأنهم أغش الخلق للمسـلمين»**[1]. وقال ﷺ: **«من غشَّ أخاه المسـلم نزع الله عنه بركة رزقه، وأفسَدَ عليه معيشته، ووكَلَه إلى نفسه»**[2].

فنصيحتنا إلى من سـوَّلت له نفسُه، وقامت تجارته على الغشّ والخـداع أن يعلـم أن ما يجنيه مـن الأرباح لن ينجيه يـوم القيامة من المساءلة والعذاب العظيم، وعلى الإنسان أن يتذكّر أن الطمع وحده مَنْ يجرُّه إلى هاوية الرذيلة والهوان.

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ٣/ ٢٢٥٩.
(٢) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

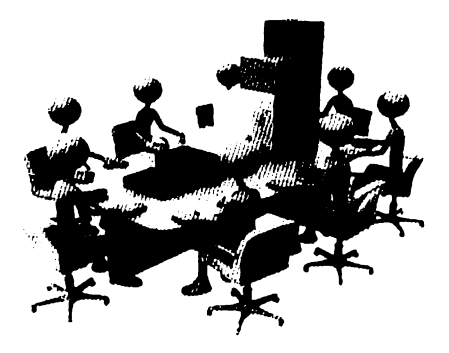
وعلـى الذين وقعُوا في مثل هذه الخلقيات السـيئة أن يتذكروا أنـه كما يفعلـون بالناس فإنه سـيفعل بهم مثل ذلـك، والحق كما قيل: «**من حفر حفرة لأخيه وقع فيها**»، «**ومَنْ يزرع الغشّ والخداع فلن يحصدَ إلا الإفلاس**». وكما ورد عن النبيﷺ: «**من غشّ غُشّ في ماله، وإن لم يكن له مال غُش في أهله**».

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

شرُّ الناس من غشَّ الناس



حفظ النظام العام، وأثره على الحياة الإجتماعية



في زحمة الحياة ومتطلباتها، تعالوا لنترك أشغالنا قليلاً ونخرج إلى عالمنا الخارجي، ونعطي أنفسنا لحظاتٍ معدودة لنتأمل في خلق الله وآياته، ونسرح في جميل صنعه، حتى نسأل أنفسنا ماذا نلاحظ في تلك الآيات الكونية؟ بعدَ تجوال النظر والتفكّر سوف نلاحظ أمراً هامّاً في هذا الكون، هو التناسق والتنظيم الدقيق في سير الكواكب، وحركة الأرض، والمنظومة الشمسية، وتفاعل عناصر الحياة فيما بينها، حيث نراها لوحة فنية غير متناهية في الإبداع والجمال، وأجمل ما فيها هو النظام الكوني المتقن والرائع في

تنظيم الأدوار والوظائف، إذ لا يتعدّى شيء على شيء، كما يصف ذلك سبحانه في القرآن الكريم: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(1) وقال سبحانه أيضا: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(2).

فالنظام هو الذي يسيّر هذا العالم ولا يوجد كائن حي، ولا حجر، ولا مدر، ولا شجر إلّا وله وظيفة جعلها الله تعالى في منظومة كونية متناسقة وغير متضادة، ولو ضربنا مثالاً صغيراً على ذلك فلننظر إلى إبداع الخالق - عزّ وجلّ - في خلقه للنحل حيث تقوم هذه المخلوقات بأعمالها وفق عمل منظّم وبدقّة متناهية، ومع كونها كبيرة في أعدادها فهي لا تتعدّى في وظائفها الغريزية على بعضها البعض، وما كان نتاجها الوفير من العسل إلا بسبب هندسة عملها بطريقة بالغة التنظيم. وكذلك لو نظرنا إلى أصغر المخلوقات حجماً كالنملة مثلاً، نراها تعمل كالجيوش وكأنها في معركة دائمة في ادخار طعامها لأوقات الشتاء، ولولا ذلك لما استطاعت أن تبقى في خبائها طيلة أيام الشتاء تأكل مما جمعته وادّخرته!.

وهكذا لو نظرنا إلى بقية الآيات في الكون وفي السماء والأرض وما بينهما، لوجدنا أن هناك طريقة واحدة للحياة وهي النظام

---

(1) يس: ٤٠.
(2) طه: ٥٠.

العـام الذي يحكم هذه المخلوقات، وأمـام هذه الحقائق فإنَّه من الجدير بنا أنْ نعرف قيمة النظام العام في حياة الإنســان وأن نأخذ العبـرة من تلك المخلوقـات التي ينظّم اللّه حياتهـا بطريقة قهريّة غرائزية، وأننا نحن البشـر العقلاء بأمسِّ الحاجة إلى تنظيم حياتنا وفق النظام العقلي والديني اللذين يشـكّلان قوة عظيمة للإنســان لمعرفة مصالحه ومفاسـده في هذه الحياة الدنيا، وأن فكرة النظام وتنظيم الحياة لم تكن يوماً من الأيام من أجل تقييد حركة الإنسان فـي الحياة كما يدعي ذلك دعـاة الفوضى الـذي يعبثون بحياتهم وحياة الناس.

وإنمـا جاء النظـام بطريقة تكوينيّة وتشـريعيّة لأجـل أن يعرف الإنســان حدودَه، أي ما له من حقوق وما عليه من واجبات، وفي الوقت نفسه أن يتربّى على احترام حقوق الآخرين وعدم الإضرار بممتلكاتهم ونفوسهم، وأعراضهم.

ومـن هنـا، على كل واحـد منا أن يلتـزم بالنظام العـام حتى لو رأى الكثيـر مـن التجـاوزات والمخالفات القانونيـة، فمن الخطأ أن يجعـل من الذين يخالفون القوانين قدوةً له، وأسـوة في طريقة العيـش والحيـاة، وإيّاه أن يسـتعمل الكلمات التـي يردّدها بعض دعاة الفوضى كمثل أن يقول: لسـت وحدي من يخالف القانون، والنـاس كلّهم يخالفـون الأنظمة العامـة، فلماذا لا أكـون واحداً منهم! وبالتأكيد هذا خطأ نمارسه بطريقة جماعية فادحة.

والصحيح أن نبدأ بأنفسنا، وذلك من خلال أمرين:

أوّلاً: بتقوى الله لأنها عصمة النفس من الشيطان. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

وثانياً: بأن نجعل القانون والنظام هو المرآة لأعمالنا، وليست تصرفات الناس العشوائية، وتلك هي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لأولاده وللمؤمنين **«أوصيكما - يقصد الحسن والحسين عليهما السلام - وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونَظْمِ أمركم»**[1].

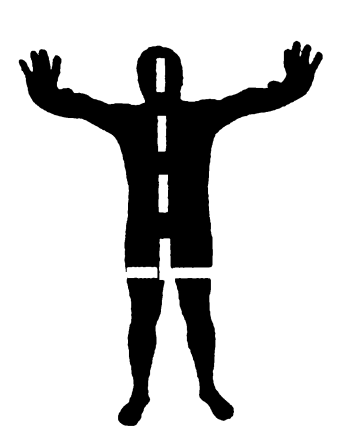
أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

الورع نظامُ العبادة

(١) نهج البلاغة، ط: دار الذخائر، قم، ٣/ ٦٧.



حفظ النظام العام



إنَّ أهميّـة موضوع حفظ النظام العام وأثره على الحياة الإجتماعية يدفعنا إلى الحديث عنه بطريقة أخرى، فمن المهم جدّاً أن نتعلـم ونتربّى على حفظ النظام فـي كل زمـان ومـكان، وأَنْ نعلـم أنّ الشرائع السماوية والكتب المنزلة على الرسل والأنبياء ما كانت إلا لأجل تأطير عمل الإنسان بإطار قانوني شرعي، ولذلك لم تخلُ واقعة من الوقائع إلّا ولله فيها حكم. قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]. ولهـذا، يعتبر النظام القانـون الإلهـي الذي ينظم حياة الناس، وهـو موجود في كل مكان، في المنزل والشـارع، والجامعة، والمؤسسات، وأماكن العمل، وفي أية دولة كنا، وبلد سـكنا، وقد حثنا الإسـلام العظيم على أن لا تكون

---

(١) النحل: ٨٩.

حياتنا العبادية والإجتماعية منفصلتين عن بعضهما البعض، فكما أن المسلم الملتزم يحترم تنظيم المولى سبحانه لأوقات الصلاة اليومية، عليه أيضاً أن يلتزم بالقوانين العامة ويحترمها، بأن لا يرمي الأوساخ على الطرقات، وأن يتقيّد بنظام السير وفقا للقوانين المعمول بها في الأنظمة الحديثة. قال ﷺ: «**دخَلَ عبدٌ الجنّة بغصْنٍ من شوك كان على طريق المسلمين فأماطه عنه**»[1].

وعليه أيضاً أن لا يستعمل الطرقات العامة وكأنّ الطريق ملكا له فيتصرف بها كيف يشاء، فنشاهد بأُمّ العين يومياً كيف تستباح القوانين وتخالف أنظمة السير دون حسيب أو رقيب، أو كيف ترمى النفايات في الشوارع، أو كيف تُدرَج المياه عليها، أو كيف ترمى بقايا الأطعمة في زوايا الأزقة، أو كيف تقطّع الأشجار التي تلعب دوراً هاماً في تنقية الهواء الفاسد، أو كيف تكبُّ الأوساخ من الشقق العالية على الجيران والطوابق السفلية، أو كيف تشغَّل المولدات الكهربائية تحت بيوت الناس بأصوات مزعجة، أو كيف يتعامل الناس مع بعضهم البعض، فإذا أراد شخص أن يعلم صديقه أنَّه أمام داره أو بنايته، وخصوصاً في الأحياء المكتظة بالسكان فبدل أن يهاتفه أو يصعد إليه، يدير أبواق سيارته وخاصة عند الصباح وكأن الناس قد ماتوا ولا يوجد أحد على قيد الحياة.

ومن الأمثلة المعاشة التي تزعج الناس فوضى قيادة السيارات في الشوارع، ومن دون مبالغة وكأنها حفلة ملاكمة على الطريق،

---

(١) الوسائل، مصدر سابق، ١٦ / ٣٣٨.

فكل واحد يعتقد نفسه دولة بذاتها، يقود سيارته كيف يشاء، ولو كان لهذه السيارة أقدام لمشى البعض على الناس من غير أن يكترث بما يفعل. وقد سمعت مراراً من الذين عاشوا فترة طويلة خارج هذه البيئة الفوضوية حينما عادوا إلى وطنهم، أصابتهم أمراض نفسية وحالات من الإكتئاب لسبب ما رأوه من الوحشية في قيادة السيارات، وقد عبر بعضهم عن هذه الظاهرة الفوضوية: في بلادنا يوجد كلّ شيء إلّا النظام والحياة الإنسانية فهما معدومان!!

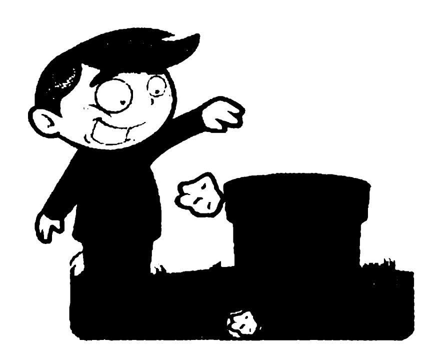
ولهذا اضطروا إلى السفر والعودة إلى حيث كانوا لعدم قدرتهم على التأقلم مع هذه الفوضى، فإلى متى نبقى نربِّي أولادنا على هذه الفوضى، وقلّة احترام النظام العام؟.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وردّك السلام صدقة.



نظافة البيئة الإجتماعية



قـد تناولنـا سـابقاً العديد مـن الموضوعات التي تُظهرُ قابلية الإنسـان علـى التآلف والتعـايـش الإجتمـاعـي الإنسـاني وتبـادل المصالح مع النـاس، لأن خيـر الناس أنفعهـم للنـاس، وفـي هـذه النصيحة سنسـلّط الضوء على بعض الموانع والمنفّرات التي تمنع من التواصل مع الناس، أو قد تقلّل من ثقة الأفراد ببعضهم البعض، إحـدى تلك المنفّرات ظاهـرةُ المجتمع الفوضـوي الذي لا يبالي ولا يهتـم بمظهره الإنسـاني الحضاري أو بنظافة دُوره وشـوارعه، ولا يأنف من وجود القذارات على الطرقات والأماكن العامة.

ويمكن أن نسأل أنفسنا هنا، هل يوجد شخص لا يُحبُّ النظافة، ولا يعمـل على تنظيـف هيئته الخارجية ومسـكنه؟ كل واحد منا

يألف الأشياء الجميلة والنظيفة لأن الروح الإنسانية هي جوهر لطيف تحب الحياة الخالية من القذارات والنجاسات، وتأنس بطهارة الأماكن وروائح العطور الطيبة، إلا أن التربية السيئة والعادات الإجتماعية هي التي تفرض الحالة المعاكسة لتلك الطبيعة الإنسانية. ومن هنا نرى أن الأديان الإلهية، وخصوصاً الدين الإسلامي، جاءت كلها من أجل تنظيف أمرين:

الأول: تطهير بواطن النفوس من الأفكار الآثمة كالحقد والحسد والعداء وغير ذلك.

الثاني: تنظيفُ مظاهر الحياة كلّها، سواء كانت مرتبطة بجسد الإنسان، أم بمكان عيشه وبيئته وبكل ما يتعلق بحلّه وترحاله.

ومن أهم العناوين التي طرحها النبي ﷺ في موضوع النظافة أنها من أخلاق الأنبياء. قال ﷺ: «**من أخلاق الأنبياء التنظيف والتطيّب وحَلْقِ الجسد**»[1]. وقال ﷺ: «**تنظّفوا بكلّ ما استطعتم، فإنّ الله تعالى بَنَى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنة إلّا كل نظيف**»[2]. وقال ﷺ أيضا: «**النظافة من الإيمان والإيمان صاحبه في الجنة**»[3]. ومن الأشياء الجميلة في هذا الموضوع أنّ ما طرحه النبي ﷺ في جَمْعِهِ بين النظافة والإيمان لم ينفصل عن الواقع التطبيقي للنظافة،

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجوردي: ط: مهر، قم، ٢٠/ ٢٠٥.
(٢) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ٤/ ٣٣٠٣.
(٣) مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ط: جماعة المدرسين ١٠، ص٩٣.

بمعنى أن العبادات التي يتقرّب بها المكلّف إلى الله تعالى، قامت على مقدمات الطهارة والنظافة، وبالتالي لم تترك الأحكام الشرعية جزئية من جزئيات الإنسان اليومية إلا وصاحبتها تحت عنوان النظافة. كتنظيف الثياب، وتبخيرها، وتنظيف البدن، وتجميله، وتنظيف البيوت، وعدم ترك القمامة في البيوت ليلاً، واستعمال العطور والطيب مهما بلغ ثمنها لأنَّ ذلك لا يعد إسرافاً، فـ «**لا خير في السرف ولا سرف في الخير**»[1].

إنَّ هذه الأحكام جديرة أن تربّي الإنسان على حبّ النظافة، مما تنعكس هذه الحالة على الشارع وأماكن العمل، والحدائق العامة، وعلى مختلف حركات الإنسان وسكناته، فالذي يعتاد على مثل هذه الطهارة بقسميها النفسي والبدني، لا يقبل أن يرمي القمامات وقشور المأكولات من نوافذ البيوت على الطرقات، ولا يرضى بوضع الأوساخ على مفترقات الطرق أيضا، أو برمي أعقاب السجائر في الأماكن غير المخصصة لها، أو بالمساهمة بتوسيخ الحدائق الجميلة والمنتزهات التي يرتادها الناس عادة للنزهة.

من هنا، إذا نظرنا إلى بيئتنا وجدنا أنفسنا مقصِّرين تجاهها غير مبالين، فمن المفترض أن نعود إلى مراجعة صحّة إيماننا وديننا،

---

(١) عوالي اللئالي، الإحسائي: ط: سيد الشهداء، قم، وينبغي الالتفات إلى أن هذه الرواية لا يمكن جعلها قاعدة مطردة في كل شيء، كما هو عليه البعض، ١/ ٢٩١ فراجع.

وأن لا نكتفي برفع الملصقات والشعارات على جدران الشوارع: «**حافظوا على النظافة**» لأنه حتى هذا الشعار لم يسلَم من غبار الإهمال.

والنصيحة التي نوّد أن نوصي بها أولادنا ومجتمعنا أن يتعاملوا مع شوارعهم وحدائقهم كما يتعاملون مع بيوتهم. فليس صحيحاً أن تكون أجسادنا نظيفة وشوارعنا قذرة فهذا لا يدل على أننا استطعنا أن نحوّل من الحالة الإيمانية إلى أسلوب حياة، بل عملنا على سجنها في بعض الأماكن الضيّقة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

لن يدخل الجنّة إلاّ كل نظيف



التدخل في شوؤن الناس



لا يناقش أحـد منا الآخر في ضـرورة انصهـار الناس في مجتمـع موحّـد بقدراته الإنسـانيّة والإقتصاديـة مـن أجـل تبـادل الخيـر والمصالـح بينهـم، وهذا ما أمرنـا به الدين الإسـلامي بالتخفيـف من حدّة الأنانيـة والإنفتاح علـى ذوي الحاجـات، وذلـك كمـا فـي قوله تعالـى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1]. فهـي دعـوة إلـى الإنصهار مع الآخر وبذل المعاونة، ونشـر عقيـدة الخير في المجتمعات الإنسانية وتغليبها على الأفكار العدوانية.

وعلى الرغم من هذا الإهتمام بضرورة تغليب المصالح العامة

---

(١) المائدة: ٢.

بيـن أبنـاء المجتمع الواحـد على المصالـح الشـخصية، والتجاء النـاس إلـى بعضهم البعض في حل مشـاكلهم، يبقى هناك شـيءٌ مقـدّس عند الناس، ألا وهـو حفظ خصوصيات كل فرد من أفراد المجتمـع، إذ ينبغي احترام الأمـور المختصة بكل فرد على حدة، بمعنى أن تداخل العلاقـات الإجتماعية في التواصل والتلاقي لا تلغي خصوصيات الناس وحفظ حرماتها، وشؤونها الخاصة، ولا يحقُّ لأيٍّ شـخص كان أن يتدخل في شـوؤن الآخرين إذا لم يكن لـه نوع من أنـواع الولاية عليـه، كولاية المعصـوم أو ولاية الأب وغير ذلك، فعلى المرء أن يحترم حدود غيره حتى تُحتَرم حدوده الإجتماعية، ويقف عند حدِّه ولا يتجاوزه، لأنه بذلك يحفظ حقّه وحقوق الآخرين، ونعْمَ ما قاله الإمام علي عليه السلام: «**أفضل الأدب أن يقف الإنسان عند حدّه ولا يتعدّى قدره**»[1].

إنَّ أهمّ شيء في الإنسان أن يعرف حدوده العلمية والإجتماعية والدينيـة عنـد تعامله مـع الناس، لأنّـه مهما تعاظمـت العلاقات البشـرية فإنها لا تصـل إلى حدِّ القبول بوصاية شـخص على آخر إلا بالحدود التي بيّنها الدين الإلهي.

ولهذا، ورد عندنا العديد من الروايات الحاثّة على أن يُقْبِلَ الإنسانُ علـى مـا يعنيـه، ويترك مـا لا يعنيه. بمعنـى أن لا يكـون متطفّلا على الآخرين ويريد دائماً أن يُدْخِلَ نفسَه في كلِّ تفصيل من مجريات حياة الناس، وحتى لو كان هناك علاقة مميزة بينه وبين بعض الأشخاص،

---

(١) ميزان الحكمة، ط: دار الحديث، ٣/ ١٩٢٧.

فـإن ذلك لا يمنـح أحداً بأنْ يملي رأيه على صديقـه أو قريبه إلى حدٍّ يستطيع معه أنْ يسـلب حرّيات الآخرين. اللّهـم إلا إذا كان من باب النصيحـة وغيـر ذلك. قـال الإمام علـي عليه السلام: «**ولا تكـن عبد غيرك وقد جعلـك اللّه حرّاً**»[1]. والملاحظ فـي مجتمعاتنا أنَّ بعض الناس عندهـم مـرض وهاجس حبِّ الإطـلاع على خصوصيـات الآخرين وإمـلاء آرائهم عليهم، ولكن من المعلوم أن أكثر من يحبون التسـلّط والتدّخـل بحيـاة الآخرين لا تـدوم معهم العلاقـة الإجتماعية لأنهم يتكلَّفون أموراً لا تطلب منهم.

وفـي هـذا الصـدد نعطي مثـالاً بـارزاً مـن حياتنـا الإجتماعية علـى ذلك، وهـو من قبيل تدخّل الأهل بشـؤون المتزوجين، فإن الاعتياد على مثل هذه الأساليب يفضح أسرار البيوت وحرماتها، وفـي كثيـر من الأوقات لا يـؤدّي ذلك إلّا إلى الخـراب والدمار، وفي آخر المطاف قد يتّجِه المتزوجين نحو الإنفصال والطلاق.

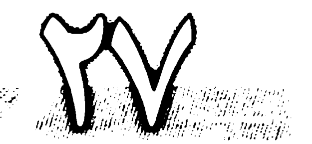
فعلـى النـاس أن يعرفوا حـدود حرّياتهم حتـى لا يأخذوا دور الظالمين في الأرض بخنق حرّيات غيرهم.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

رَحِمَ الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده

---

(١) نهج البلاغة، ٣ / ٥١.



فضيلة الإصلاح بين الناس



من أجمل الأدوار التي يؤدّيها الإنسان في حياته الإجتماعية أن يكون مصلحاً بين الناس غير ساعٍ في القطيعة والعداوة بينهم. ولهذا نرى في مجتمعاتنا الإنسانية صنفين من الناس، صنف تحركهم رجاحة عقولهم وحكمتهم، وصنف تحرّكهم أهواؤهم وغرائزهم. فالذي يتحرّك بعقله الراشد يبحث دائماً عن حلقات وصل بين المتخاصمين، ويجهد نفسه في تذليل كافة العقبات من أجل تحقيق مصالحة حقيقية بين المتعادين، والذي تحركه غرائزه وشهواته الشيطانية فإنّه لا يرى شيئا جميلاً بالآخر، فيسعى إلى إيجاد قطيعة وشقاق بين الناس. ولَمَّا كان الإحتكاكُ الإجتماعي أمراً دائمَ الوقوع فإنَّ توقع حصول النزاعات بين الأفراد والجماعات محتملٌ في أي ساعة من ساعات الحياة، وعند وقوع المخاصمات يأتي المصلحون

ليقوموا بدورهم الإصلاحي، ودور هؤلاء لا يقلّ أهمية عن الدور الـذي يقوم به الأطبـاء عند حدوث الأمـراض. والملفت في هذا الأمـر أن الإسـلام اعتنى عناية شـديدة باسـتحباب الإصلاح بين الناس، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**لئن أصلح بين اثنين أحبُّ إليَّ من أن أتصدق بدينارين**»[1].

بـل ذهبت الأحاديث الشـريفة إلـى اعتبار إصـلاح ذات البين أفضـل من عامة الصلاة والصيام، ولهذا ورد عن الرسـول صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**»[2].

وقـال صلى الله عليه وآله أيضـاً: «**مَـنْ مشـى في صلح بيـن اثنين صلـى عليه ملائكـة الله حتى يرجع وأُعطي ثواب ليلة القدر، ومن مشـى في قطيعة بين اثنين كان عليه من الوزر بقدر ما لمن أصلح بين اثنين من الأجر، مكتوب عليه لعنة الله حتى يدخل جهنم فيضاعف له العذاب**»[3].

والـذي ينبغي أن نلتفت إليـه هنا، أنّنا لسـنا مجتمعاً ملائكياً لا يعرف الخطأ، إنما نحن بشـر نصيب ونخطئ، ومهما بلغ الإنسان مـن مراتب العلـم والمعرفة يبقى الخطأ متوقَّعـاً منه. ولهذا ينبغي أن يكون بيننا أشـخاص مصلحون يبادرون إلى حلّ قضايا الناس بطريقة حكيمة. ويؤسفنا القول: إنّ عدد المصلحين تضاءل كثيراً فـي مجتمعاتنـا لأن العقيدة السـائدة فـي أيامنا تقوم على أسـاس إهمـال الحيـاة الإجتماعيـة العامة والإهتمـام بالحياة الشـخصيّة

---

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ط: منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة، مصدر سابق، ١٨ / ٤٤١.

(٣) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٨/ ٤٤١.

فقط، فنجد أنّهم لا يبالون بفضيلة الإصلاح والجمع بين الناسٍ، بل نراهم يكتفون باللجوء إلى الجهات القانونية المختصّة بحل مشاكلهم.

ولذلك نحن بحاجة إلى مصلحين في أيٍّ مكان كنّا، في بيوتنا، وقُرانا، وأماكن عَملِنا، والمطلوب منا أن ننمّي عقيدة الإصلاح، وتربية الأجيال على حبِّ الإصلاح، وبغض القطيعة بين الناس.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

إصلاح ذات البين

أفضل من عامة الصلاة والصوم



مداراة الناس



عندمـا يقيـم الإنسـان علاقاتٍ إجتماعيـة مـع النـاس ويتعـرّف عليهـم سـيظهر لـه أنـه لا يوجـد شخص يشابه الآخر في كل شيء، فـكل واحـد منهـم عالَـم مسـتقلٌ بذاتـه، له صفاتـه وخصائصه التي تميزه عن غيره، بمعنى أنَّ طباعهم متعـدّدة ومختلفة، ولا يمكن أن يضع الإنسـان قاعـدة إجتماعية واحدة يعامل بها أفراد المجتمع كلهم على أساسها. وفي الوقت نفسـه، لو جهدَ وسـعى ليل نهار لإرضاء الناس كافة لما اسـتطاع إرضاءهـم لأنَّ رضا الناس غاية لا تُدرك ولا تُملك. فإذن، لا بـدَّ أن يبحث الإنسـان عـن قاعدة أخلاقية تجنبه التصادم والتشـاجر مـع الآخرين ويحافظ على حدود التلاقـي بينه وبين الناس، هذه القاعدة هي مداراة الناس ومجاملتهم.

وحينما نتحدث عن المجاملات والمداراة فإنها ليست من باب أن يكون الإنسان ضعيفاً ولا يستطيع مواجهة الآخرين، أو غير قادر على مصارحتهم، حتى يلجأ إلى إخفاء شيء وإظهار شيء آخر. وإنما المداراة التي حدّثنا عنها النبي ﷺ هي القدرة على تحمل أفعال البشر بمختلف مشاربهم ومآربهم، وطول البال عليهم، وهي نوع من أنواع الصدقة الحسنة. قال ﷺ: «**مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش**»[1]. وقال ﷺ: «**مداراة الناس صدقة**»[2]. وقال ﷺ أيضا: «**أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**»[3].

على الرغم من أن هذه الطريقة هي من الخلقيات الرفيعة التي يتحاشى فيها الإنسان النزول إلى صغائر الأمور، نلاحظ الكثير من الناس لا يلتفتون إلى مشاعر الآخرين وخصوصيّاتهم، فيتصرفون معهم بطريقة فظّة لا يدارون فيها أحداً، اعتقاداً منهم أنَّ الحقَّ لا يَبيّنُ للناس إلا بالمعاتبات والتقريع، وكلنا يعلم أن أكثر المعاتبات تورث الضغينة، وليس كما هو شائع بين الناس أنها صابون المحبّة. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**احتمل أخاك على ما فيه ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة، واستعتب**

---

(١) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ١١٧.

(٢) روضة الواعظين، النيسابوري: ط: منشورات الشريف الرضي، قم، ص ٣٨٠.

(٣) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ١١٧.

من رجوت عتباه»[1]. وحينما يكون هدف الإنسان من علاقاته الإجتماعية هدفا إنسانيّاً نبيلاً فمن المفترض أنْ لا يتعامل مع الآخرين على طريقة المطالبة بكلِّ صغيرة وكبيرة، وقد جاء في الرواية «**من لم يحتمل زلل الصديق مات وحيدا**»[2]. فمن أراد أن يتوقف عند كل عثرة وحرف وكلمة تصدر من الآخرين، فإنه سينعزل عنهم ويعيش وحيداً، ويؤدّي ذلك إلى مرض سوء الظن بالناس، ومن أجل ذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لا تفتش الناس عن أديانهم فتبقى بلا صديق**»[3]، وكما قال الشاعر:

«من راقب الناس مات همّاً
وفاز باللذة الجسور»[4].

إذاً، إن أفضل طريقة للتعامل مع بعضنا البعض هو التأقلم مع كل ما يصدر منا، إلا إذا كان شيئاً منافياً للمروءة والدين فعندها لا بدَّ من معالجة الأمور بطريقة حكيمة ومرضية للّه رب العالمين.

ومن أجمل ما ورد عن الأئمة عليهم السلام في آداب المعاشرة وغضّ النظر عن العثرات التي لا يلزم منها الإبتعاد عن الناس والعداوة

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ط: دار الحديث، ١/ ٤٥.
(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(٣) تحف العقول، الحراني: ط: جماعة المدرسين، قم، ص ٣٦٩.
(٤) هذا البيت للشاعر مسلم الخاسر، وقد وهِم من جعله حديثاً.

معهم، ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: **«صلاحُ حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل»**[1]. أي أنَّ ثلث التعايش يقوم على غض النظر عن الهفوات والأخطاء.

على ضوء هذه الدرر والروائع الروائية، نصيحتنا لكل حريص على تهذيب نفسه أن يتفهّم الآخرين بطريقة واقعية، ولا يكون ملائكيّاً في تعامله مع الأقارب أو الأباعد، ولا ننسى حديث الإمام علي عليه السلام: **«ما قال الناس لشيء طوبى إلا وخبّأ لهم الدهر فيه يوم سوء»**[2].

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

لا تفتش الناس عن أديانهم

فتبقَ بلا صديق

(١) تحف العقول، مصدر سابق، ص٣٦٠.

(٢)



٢٩

حدود المزاح



يعبّر الإنسـان في علاقاته الإجتماعية عن محبّته وتودّده للآخرين بطـرق مختلفـة، فمـرة يتواصـل معهـم بزيارة، ومـرة أخـرى بتقديم هديـة، وتارة بقضاء حوائجهـم، وأخرى بالمـزاح معهم وملاطفتهم ومسـامرتهم بالأحاديـث التـي تعطف القلـوب بعضهـا على بعض. ومما لا شـك فيه أن مفاكهة الناس بالكلمات الطّيبة تنشّط مشاعرهم العاطفية وتقوّي أواصرَ المحبة بينهم، بل المفاكهة في بعض الأحيان

أمر مطلوب لأنَّ كل كلمة تنساب من المتكلم بنيّة التخفيف عن الآخر وتفريج همّه، هي كالدواء الذي يشفي الإنسان من همومه الحياتية، مع الحذر والإلتفات إلى عدم تحوّل مجالس المؤانسة الإجتماعية إلى تهريج ومزاح مفرط، يؤدي إلى الإجتراء على المازح مما قد يذهب بهيبته. فحرمة الإنسان المؤمن هيبته واعتدال منطقه، وضحكه تبسمه، فبمجرد أن يفرط بالمزاح فسوف يتعرض للإهانة والإجتراء عليه، وهذا ما نبّه عليه الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**لا تمزح فيجترأ عليك**»[1].

من هنا ينبغي التفريق بين مفهومين وسلوكين، بين مفاكهة المؤمنين والناس بشكل عام، وبين المزاح الذي يخرج شخصية الإنسان عن توازنها الإجتماعي، وقد استفدنا هذا الفارق بين النوعين من المزاح من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث وصفت مفاكهة المؤمنين بلهو المؤمن، وهذا اللهو ليس بالمعنى السلبي، وإنما يقصد منها اللهو الهادف الذي يروح عن نفس الإنسان بين ساعة وأخرى، ويدخل السرور على قلب الآخر، مع عدم تخلّله لأية إخبارات كاذبة لأنَّ الكذب حتى لو كان هزليا فإنَّه محرّم، وأما النوع الآخر من المزاح، فهو الذي يُذِهب الحشمة بين الناس ويؤدّي في بعض الأوقات إلى التباغض والتحاقد، وهذا النوع بالذات هو الذي ورد النهي عنه كما في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إياك والمزاح فإنه يذهب بنور**

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٢/ ١١٧.

إيمانك ويستخف بمروتك»[1]. وفي حديث عن الباقر أو الصادق عليه السلام أنه قال: **«كثرة المزاح تذهب بماء الوجه وكثرة الضحك تمج الإيمان مجّاً»**[2]. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«لا تمزج فيجترأ عليك»**. وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: **«ما مزحَ امرؤ مزحةً إلا مُجَّ من عقله مجّة»**[3].

والمقصود من كلمة المج هو الرمي، أي من يسخر من الناس ويخرج عن حدّه في مزاح الناس يرمي بعقله إلى أماكن الضياع، ويقذف من قلبه الإيمان، ومثله ما يقال في التعبير اللُغوي: مجَّ الشراب من فمه أي رماه من فمه، فالذي يمزح ويفرط في الثرثرة يقلّل من قيمته العقلية والأخلاقية!.

ولذلك من مهانة الإنسان أن تكون ثقافته ثقافةَ تهريج وإضحاك، وأيّما إنسان يصبح همُّه نقل النكات المضحكة سيكون بنظر الناس إنسانا مهرجاً يجترأ عليه من قبل الكبار والصغار. لذا من يعتقد أنَّ الطريقة الوحيدة للتحادث مع الناس هي الكلام الهزلي كما هو السائد في ثقافة وسائل الإعلام فهو مخطئ ومشتبه. لذا لماذا لا نحاول أن نجعل في مجالسنا ذكراً لآية قرآنية أو لحديث نبوي يُعلَّق عليه ويستفاد منه، مع قليل من المفاكهة المعتدلة التي تبقي الحشمة والحياء بين الأصدقاء، وفي

---

(١) المصدر السابق، ١٦/ ٢٣.
(٢) الكافي، الكليني: ط: دار الأضواء، بيروت، ٢/ ٦٦٥.
(٣) نهج البلاغة، الرضي: ط: دار الذخائر، قم، ٤/ ١٠٤.

حـال لـم يكـن في جعبة الإنسـان ما يحدّث به، فليسـكت وليتفكّر فيما يفيده ويصلحه، وكلنا يعلم أن السـكوت الواقع في محله هو فضيلة وليس منقصة، لأنه «**إنّ كان الكلام من فضة فإنّ السـكوت من ذهب**»[1] ولا ننسى أنه ما «**يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[2].

وعليـه، فلنتعامـل مع رصيـد الوقت والكلام، كمـا نتعامل مع الرصيـد المالـي في البنـوك، فلا نتكلّـم إلا في حـال كان للكلام محلٌّ ومناسـبة. نعـوذ باللـه تعالى من الثرثرة والسـخرية وسـوء المآل والعاقبة.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

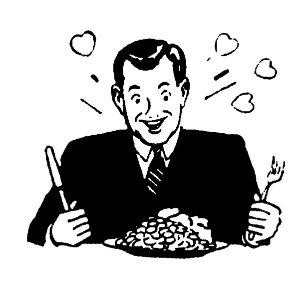
لا تمزح فيجترأ عليك

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ١٢/ ١٨٣.

(٢) الكافي، الكليني: ط: دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢/ ١١٥.



الإطعام والضيافة



كثيـرة هي العـادات الإجتماعيـة التي يعبّـر النـاس مـن خلالهـا عـن محبّتهـم لبعضهـم البعـض، ومِـنْ أَحَبِّهـا إليهـم عادةُ إطعام الطعـام، فقلَّما يجلسُ الناسُ ويتحدّثـون دونَ أنْ يكـونَ الطعامُ مكمّلاً ومزينـاً لمجالسـهم، ولا شـكّ أنَّ ارتباط المجالس الإجتماعية بالولائم الغذائية لها بُعدٌ عميق عند الإنسان، وهـو أنَّ تقديم الضيافة تظهرُ مدى محبّـة المضيف لزائره، وتدخلُ السـرورَ علـى قَلب الزائـر، وتعـزّز الثقةَ بيـنَ الطرفَين، فـإذا دَخَل زائـرٌ إلى بيتٍ من البيوت ولـم يكرَّم بشـراب أو بطعـام، فَقَد يحمِل على أهـل تلك الدار ويصفُهم بالبُخل، أو عـدم رغبَتهم بحضورِه، ومـن الملفت والجميل في آن أن هذه المسـألة ليسـت عادة عرفية عرَفَها المجتمع العربي على سـبيل التقاليد والمواريث الإجتماعية

فحسب، وإنّما جاء الدينُ الإسلامي ليرغب بها ويحثَّ عليها لما فيها من ثواب وأجر عظيم، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**المنجيات ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»[1]. فالذي يطعم ويسقي يتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، ولا يكون إنساناً أنانياً لا يحبُّ إلا نفسه، إنما يريد أن يعمّم الخيرَ إلى سائر الناس. ولذا كان أحد أسباب النجاة يوم القيامة إبرادُ كبد ظمآن، وإشباع جوعة جائع، فقد ورد عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «**من أطعم مؤمنا من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنا من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمنا كساه الله من الثياب الخضر**»[2].

وورد عن الأئمة عليهم السلام: «**أن أفضل الصدقة إبراد كبد حرى**»[3].

ومن الأشياء الجميلة في الدين الإسلامي أنه حثّ الناس على أن يولموا في مناسبات معيّنة، وقد أشارت الروايات الشريفة إلى تلك المناسبات الإجتماعية التي تستحب فيها الولائم، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا وليمة إلا في خمس: في عرس أو خرس أو عذار أو وكار أو ركاز**»[4] وقد فسّر ﷺ معنى هذه الكلمات فقال: «**فالعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار الرجل يشتري الدار، والركاز الرجل يقدم من مكة**»[5].

---

(١) الوسائل، الحر العاملي: ط: آل البيت عليهم السلام، ٢٤/ ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق: ٩/ ٤٧٤.

(٣) المصدر السابق: ٩/ ٤٧٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٠/ ٩٥.

(٥) المصدر السابق، الموضع نفسه.

إذن، هذه المناسبات الإجتماعية التي ذكرها النبيﷺ هي التي تستحب فيها الولائم، ولا يوجد مانع في أي مناسبات أخرى أن يقدّم فيها الطعام من باب استحباب عموم الإطعام، إلا أن تلك الرواية أشارت إلى المناسبات التي يحب الله تعالى فيها أن يولم فيها الإنسان، ويطعم فيها الناس.

والنصحية أن لا يستخف الإنسان المسلم بمثل هذه الأدبيات، فإذا كان قادرا على فعلها فإنها تجلب الخير والبركة والسعادة له، وبخاصة للمتزوجين، ولا شّك أنها سنة شريفة تؤثّر في زيادة المحبّة بين الناس وقد ورد عن أبي الحسن عليه السلام حينما سئل عن أفضل عيش الدنيا؟ قال: «سعة المنزل وكثرة المحبّين»[1]، جعلنا الله تعالى من السعداء في الدارين الدنيا والآخرة، ونسأله تعالى أن يوفّقنا لمراضيه، ويتقبّل منّا هذا العمل إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

أضف إلى أدبيّاتك الدينيّة واحفظ:

السخي يأكل من طعام الناس
ليأكلوا من طعامه،
والبخيل لا يأكل من طعام الناس
لئلاّ يأكلوا من طعامه.

---

(١) مستدرك الوسائل، النوري، ٣ / ٤٥١.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

※ نهج البلاغة، الرضي، دار الذخائر.

※ وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث العربي، بيروت.

※ الكافي، الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣ -١٣٨٨هـ -١٩٦٨م

※ مستدرك سفينة البحار للشاهرودي، التابعة لجماعة المدرسين، قم.

※ ميزان الحكمة، محمدي، الريشهري، دار الحديث، ١٤١٦هـ.

※ جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجوردي، منشورات مدينة العلم، قم.

※ عوالي اللئالي، الإحسائي، مطبعة سيد الشهداء، ١٩٨٣

※ ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق

※ روضة الواعظين للنيسابوري

* تحف العقول، ابن شعبة، الحراني، التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢ -١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

* مكارم الأخلاق، الطبرسي، منشورات الشريف الرضي.

موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام للنجفي، دار أحياء التراث العربي بيروت ١/ ١٢٢.

* خصائص الأئمة، الشريف الرضي، مجمع البحوث الإسلامية - الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، إيران.

* معدن الجواهر، الكراجكي: الطبعة الثانية: مهر استوار، قم.

* فقه الرضا عليه السلام ،ابن بابويه، علي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ، مشهد، ط١ -١٤٠٦هـ.

* مجمع الزوائد للهيثمي، الكتب العلمية، بيروت.

* الخصال، الشيخ الصدوق، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.

* الأمالي، الطوسي: دار الثقافة، قم.

* مستدرك الوسائل، النوري، ط١، بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

* بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢ - ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

* الفضائل والرذائل، المظاهري، قم.

الفهرس

صدر للمؤلف

١ ـ الزواج من الاختيار حتى الاقتران ١٩٩٩ م.

٢ ـ النجاة في زمن الغربة.

٣ ـ مال خديجة وسيف علي عليه السلام

٤ ـ الدعاء والذكر في الصلاة وآثارهما التربوية.

٥ ـ المفاهيم الدينية عند العوام (رسالة الماجستير) طبعة ثانية.

٦ ـ وصية المؤمن (طبعة رابعة).

٧ ـ علم الأخلاق والتربية (دروس حوزوية وجامعية).

٨ ـ دور التربية في بناء الإنسان الصالح.

٩ ـ فلسفة التربية الفقهية عند الإمام الصادق عليه السلام (أطروحة دكتوراه).

١٠ ـ أخلاقيّات الفقه الإجتماعي - هذا الكتاب -.

١١ ـ وبالوالدين إحسانا.